أثر القراءات القرآنية في سرد الأحداث التاريخية في القران الكريم

(دراسة تحليلية)

أ.م.د. ابراهيم محمود ابراهيم النجار *

ملخص البحث

للقراءات القرآنية آثار عظيمة في المعاني والأحكام ، ومن تلك الآثار أثر القراءات القرآنية في سرد الأحداث التاريخية الواردة في القرآن الكريم ، وسنبحث هنا إشكالية اختلاف أحداث تلك القصة أو الحدث التاريخي تبعا لتلك القراءة وإمكانية الجمع بين الروايتين المختلفتين للحدث نفسه ، مع ملاحظة أن الروايتين المختلفتين هما متواترتان لا يمكن رد إحداهما وقبول أخرى ، وقد اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث ، الأول لبيان أثر القراءات في اختلاف القول ، والمبحث الثاني لأثر القراءات في اختلاف الفعل ، والمبحث الثالث لأثر القراءات في اختلاف العدد ، ثم الخاتمة ، وتبين من خلال البحث والتدقيق في تفاصيل تلك الأحداث ، أنه ليس بين القراءات المتواترة تناقض في المعنى ، بل إن في تنوع تلك القراءات دليل على ثراء المعنى القرآني ، ووجه من وجوه الإعجاز

Abstract

Quranic readings possess great effects in both meanings and rules. Of those effects is that of Quranic readings in narrating historical events mentioned in the Glorious Quran. Here we are going to investigate the problem of the differences of the happenings of that story or historical event according to that reading and the possibility of joining the two different narrations of the very event considering that the two different narrations are narrated by many people so that it is not possible to adopt one and reject the other. The research includes three sections, the first is to show the effect of the readings on the differences of sayings, the second one tackles the effect of the readings on the differences of actions, and the last one investigates the effect of the readings on the differences in number. After researching and checking the details of those events, it is found that there are no differences among the aforementioned readings as far as meaning is concerned; rather, diversities in those readings reflects the richness of the Quranic meaning besides a miraculous aspect.

* جامعة الموصل / كلية العلوم الاسلامية / قسم العقيدة و الفكر الاسلامي .

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها، أحكمت آياته ، وابدعت جمله، واختيرت كلماته، وعلا أسلوبه، واتفقت معانيه وائتلفت مبانيه ، فلا ترى فيه عوجا ، ولا تجد فيه اختلافا وتناقضا ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: الآية :٤٢]

والصلاة والسلام على من نزل إليه الروح الأمين بكلام رب العالمين سيدنا محمد خاتم النبيين صاحب المعجزة الدائمة والمفاخر التامة ، وعلى آله وأصحابه الذين جندوا أنفسهم لحماية القرآن الكريم، فوضحوا غريبه، وبينوا مشكله، وجلوا متشابهه، وفتقوا أسراره وعجائبه .

أما بعد : فأقصد بالأثر :" النتيجة، وهو الحاصل من الشيء "[١] أي ما يترتب عليه ، والقراءات القرآنية هي : "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة" [٢] والسرد هو: " نقل الأحداث والمواقف من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية"[٣] والأحداث التاريخية : الوقائع والمواقف والقصص المذكورة في القرآن ، أي إن المقصود من موضوع البحث هو : دراسة نتيجة تغير القراءة القرآنية في سير الأحداث الواقعية المذكورة في القرآن .

وتأتي أهمية البحث من أنه يسلط الضوء على جانب جديد لم يحض بالاهتمام والتأليف ، ولم أجد دراسات سابقة له ، وهو أثر القراءات القرآنية على سرد احداث التاريخية والقصص القرآنية ، وسيتركز البحث حول تساؤل مهم جدا ، وهذا التساؤل هو مشكلة البحث : ماذا لو أدى تنوع القراءات إلى اختلاف أحداث تلك القصة أو الحدث التاريخي بحيث لايمكن الجمع بين الحدثين ؟ ومعلوم أن الحدث التاريخي إنما هو خبر وقع بصيغة معينة لا يمكن تغييره ، كخروج امرأة لوط معه على قراءة وعدم خروجها على قراءة أخرى ، كيف سيجمع بينهما ؟ وتزداد أهمية وصعوبة هذه القضية بمعرفة أن القراءتين سبعيتين متواترتين لا يمكن ردّ إحداهما وقبول الأخرى ، والترجيح بين القراءات القرآنية ينبغي أن يكون على أساس صحة الرواية لا على أساس المعنى فترد رواية لقراءة متواترة نازلة بالوحي لأجل مخالفتها معنى رواية أخرى متواترة أيضا ونازلة بالوحي أيضا ؛ ولهذا سأكتفي في بحثي بنماذج من قراءات سبعية متواترة وقع فيها اختلاف .

---

(١) التعريفات ، الجرجاني : (ص٩).

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، ابن الجزري : (ص٩) .

(٣) التحرير الأدبي، د.حسين علي محمد : (ص٢٩٩).

وقد اعتمد بعض العلماء شهرة القول ، وكثرة القراءة به ، وفشوّه عند أهل اللغة سببا للترجيح ، والأخذ بقراءة دون الأخرى وليس هذا حلاً مع كون القراءة المرجوحة هي رواية متواترة نازلة بالوحي ، توافر فيها أركان القراءة المعتمدة من تواتر وموافقة للرسم العثماني وموافقة العربية ، فهي قرآن كالقراءة الأولى المشهورة ، لا يمكن تناقضهما بحال ؟ فالقرآن لا يناقض نفسه ، فلا تترك وترجح الأخرى عليها لأجل المعنى أو الشهرة أو اللغة ، فالرواية أصل والمعنى تابع لها وليس العكس . فلا بدَّ من بحث كل قضية وكل موضع لحاله بشيء من التفصيل ضمن حقيقة مفادها أن تنوع وتعدد المعاني لتعدد القراءات ، دليل على ثراء المعنى القرآني ، ووجه من وجوه الإعجاز ، ينبغي العناية به ففيه من اللطائف ما يُظهر عظمة القرآن . ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث وأسبقيته في إبراز تلك الحقائق بصورة علمية دقيقة لا تخالف أصول علوم القرآن المتفق عليها . وسأعتمد منهجا تحليليا لكل قراءة مستعرضا توجيه العلماء للقراءة ومناقشاتهم واختلافاتهم .

وقد اشتمل البحث على ثلاثة نماذج من القراءات أثّر اختلافها في اختلاف سرد الحدث التاريخي ، وأدت القراءة الثانية إلى تغير في الواقعة التاريخية ، كان النموذج الأول لبيان أثر القراءات في اختلاف القول ، في قصة الحواريين وهو المبحث الأول بينما كان المبحث الثاني لأثر القراءات في اختلاف الفعل ، من قصة امرأة لوط ، وخصصت المبحث الثالث لأثر القراءات في اختلاف العدد ، الزبور انموذجا ، ولم يشمل البحث غير القراءات السبع المتواترة ، التي أثرت في سير حدث تاريخي في القرآن ، معتمدا المنهج التحليلي المناسب في عرض الأقوال ومناقشتها ، مستعينا بكتب القراءات ومعانيها وتوجيهها وكتب التفسير وعلوم القرآن واللغة ، وسأذكر اسم الكتاب كاملا مع اسم المؤلف عند وروده أول مرة ، ثم أختصر اسم الكتاب إلا إذا تشابه اسم الكتاب مع آخر فسأذكر اسم المؤلف معه أينما ذكر كمعاني القرآن للزجاج أو النحاس أو الفراء ، إلا إن ذكرته في متن البحث، مبينا ترجمة الكتاب كاملة في قائمة المصادر ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المبحث الأول : أثر القراءات في اختلاف القول ، قصة الحواريين انموذجا :

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة: الآية :١١٢]

موضع الشاهد : اخْتلف القرّاء في الْيَاء وَالتَّاء من قَوْله ﴿ هَل يَسْتَطِيع رَبك ﴾ على قراءتين :

الأولى: ﴿ هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ بالتاء وَنصب الْبَاء وَاللَّام مدغمة في التَّاء ﴿ رَبَّكَ ﴾ ، وبها قرأ سادتنا علي ومعاذ وعائشة وابن عباس ﷺ، ومن التابعين: سادتنا مجاهد وسعيد بن جبيرﷺ، وهي قراءة الكسائي[١] وَحده .

الثانية: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ بِالْيَاءِ وَرفع الْبَاء وهي قراءة عامة قَرَأة المدينة والعراق وبهاَ قَرَأَ الْبَاقُونَ من السبعة غير الكسائي. [٢]

المطلب الأول : **المشكلة المفترضة** :المشكلة تكمن في اختلاف قول الحواريين بين القراءتين واختلاف دلالات وآثار كل قراءة وما يترتب عليها ، فسرد القصة ومواقف شخوصها وتوجهاتهم بل واعتقاداتهم ومدى إيمانهم تفهم من تعبيراتهم وأقوالهم .

فمن قرأها ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كان ظاهر معناه : هل يقدر ربُّك؟ [٣] فظاهر هذا اللفظ – على قراءة الجميع بالياء أنهم شكّوا في قدرة الله ﷻ على إنزال المائدة وعلى هذا نصّ الزمخشري، حيث قال : "ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما ".[٤]

بل قال بعضهم : " إنما يطالبون بهذه الأشياء تمرّدًا وتعنتًا ولم يقصدوا به الاستدلال للطمأنينة والبيان"[٥] وإنما للتشهي واتباع الهوى تعنّتا وعنادا لا للوصول إلى كشف غامض وجلاء حقيقة كما قال تعالى: : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الأنعام:الآية: ٧] [٦]

فعلى ظاهر هذه القراءة لم يكن الحواريون على يقين تام بقدرة الله ﷻ وكان الشك يساورهم ، وهو ما دعاهم إلى طلب إنزال المائدة ، وعليه لم يصفهم اللَّه تعالى بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما، ثم أتبعه قوله ﴿إذ قال﴾ فإذن إنّ دعواهم كانت باطلةً، وإنهم كانوا شاكين، فقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظّمين لربهم، وكذلك قول عيسى ﷺ لهم

(١) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي كان عالما بالعربية والقرآن والآثار ، اختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى السبع ، (ت ١٨٩ هـ) ؛ ينظر : طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم ، السَّلَّار: (ص٨٩) وسير أعلام النبلاء ، الذهبي : (٩/ ١٣٢) .

(٢) السبعة في القراءات ، ابن مجاهد: (ص٢٤٩) ؛ و الحجة للقراء السبعة ، الفارسيّ: (٣/ ٢٧٣) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج : (٢/ ٢٢٠).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري : (١/ ٦٩٢) .

(٥) درج الدرر في تفسير الآي والسور ، الجرجاني : (١/ ٢٨٠) .

(٦) ينظر : تفسير المراغي ، المراغي : (١/ ٢٠٢) .

معناه : اتقوا اللَّه ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها. (١)

أو أن هَؤُلَاءِ الحواريين الَّذين أثنى الله ﷻ عَلَيْهِم قد يكونوا قَالُوا بِالْجَهْلِ لعيسى عليه السلام هَل يَسْتَطِيع رَبك أَن ينزل علينا مائدة من السَّمَاء ؟ وَلم يبطل بذلك إِيمَانهم وَهَذَا مَا لَا مخلص مِنْهُ وَإِنَّمَا كَانُوا يكفرون لَو قَالُوا ذَلِك بعد قيام الْحجَّة وتبيينهم لَهَا (٢) فموقفهم على هذه القراءة يدور بين الشك أو الجهل .

بينما على قراءة الكسائي ﴿ هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ لم يكن السؤال عن استطاعة الله ﷻ ، ولكن عن استطاعة عيسى عليه السلام سؤال ربه ، فهم على هذه القراءة موقنين بقدرة الله ﷻ ، وقد يكون ذلك لمعرفة مكانته عند الله ﷻ أو غير ذلك . (٣)

وروي أن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تنكر القراءة بالرفع ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ وتقول: كان القوم أعلم بالله ﷻ من أن يقولوا: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ (٤)

أقول : وحاشا سيدتنا عائشة (رضي الله تعالى عنها) أن تنكر رواية ثابتة متواترة عن رسول الله ﷺ وإنما أنكرت المعنى الذي فهمه البعض من أن الحواريين كانوا شاكين بقدرة الله ﷻ مع مدحه لهم في القرآن . يقول أبو جعفر النحاس: " السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان أن لا يقال إحداهما أجود؛ لأنهما جميعا عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا" (٥)

فالمشكلة في الاختلاف الظاهر بين القراءتين في سرد الواقعة التاريخية ، فباختلاف القول أو السؤال اختلفت المواقف والاعتقادات والتوجهات، واختلف مسار القصة ، هل كان السؤال من قوم مؤمنين راسخي الإيمان موجه لنبيهم : هل يستطيع سؤال ربه ؟ أم كان من قوم منكرين معاندين يشكون في قدرة ربهم تعالى يسألون عن مدى استطاعته ؟ كيف يمكن الجمع بين قراءتين تحمل كل منهما معنى مناقض للآخر ؟ والقراءتان سبعيتان لايمكن رد إحداهما على حساب الأخرى .

---

(١) ينظر : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، الطيبي : (٥/ ٥٣٣ ،٥٣٤).

(٢) ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم: (٣/ ١٤١).

(٣) ينظر : حجة القراءات ، ابن زنجلة : (٢٤١) ؛ والتفسير البسيط ، الواحدي : (٧/ ٥٩٢) ؛ ومعاني القراءات الأزهري : (١/ ٣٤٣) .

(٤) معاني القراءات : (١/ ٣٤٣) .

(٥) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: (١/ ٣٤) ؛ ولم أجده في كتب النحاس .

المطلب الثاني : **توجيه القراءات** :

أبدأ بتوجيه العلماء لقراءة الكسائي أولا لأنها أقل إشكالا من القراءة الأخرى ؛ إذ قرأ الكسائي وحده ﴿هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ بالتاء ونصب ﴿ رَبَّكَ ﴾ ومعناه: هل تستطيع سؤال ربك؟ (١) "فمن قرأ بالتاء ذهب في التأويل إلى أن فيه إضمارًا ؛ كأنهم قالوا: هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء" . (٢)

وذكروا الاستطاعة في سؤالهم له لا لأنّهم شكّوا في استطاعته، ولكن كأنّهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم، كأنّهم قالوا: إنّك مستطيع فما يمنعك ؟! ومثل ذلك قولك لصاحبك: أتستطيع أن تذهب عني؟ فإنّي مشغول ، أي: اذهب لأنّك غير عاجز عن ذلك. وأما ﴿ أن ﴾ في قوله: ﴿ هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ أَن يُنَزِّلَ ﴾ فهو من صلة المصدر المحذوف، ولا يستقيم الكلام إلّا على تقدير ذلك ، إذ لا يصح أن يقال : هل تستطيع أن يفعل غيرك؟ وأنّ الاستفهام لا يصح عنه (٣)

قال الطبري : " قرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ﴾ بالتاء ﴿رَبَّكَ﴾ بالنصب، بمعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ أو: هل تستطيع أن تدعوَ ربَّك؟ أو: هل تستطيع وترى أن تدعوه ؟ وقالوا: لم يكن الحواريون شاكِّين أن الله تعالى ذكره قادرٌ أن ينزل عليهم ذلك، وإنما قالوا لعيسى: هل تستطيع أنت ذلك؟ قال: قالت عائشة: كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى هل تَسْتطيع ربَّك؟ وعن سعيد بن جبير: أنه قرأها كذلك: ﴿ هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ ، وقال: تستطيع أن تسأل ربَّك. وقال: ألا ترى أنهم مؤمنون؟ " (٤)

توجيه قراءة الباقين :قرأ الباقون غير الكسائي بالياء ورفع الباء من قوله تعالى :﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ وهي القراءة التي أثار ظاهرها إشكالا ، واختلف القرّاء والمفسرون في توجيهها على أقوال وهي :

(١) ينظر : إعراب القراءات السبع وعللها ، ابن خالويه : (ص٩٤) .
(٢) تأويلات أهل السنة ، الماتريدي : (٣/ ٦٥٠) .
(٣) ينظر : الحجة للقراء السبعة ، الفارسيّ : (٣/ ٢٧٣).
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : (١١/ ٢١٨ ، ٢١٩) .

التوجيه الأول : إنهم إنما قالوا: هل يستطيع ربك وهم يعلمون أنه يستطيع، ولكن هذا كما تقول لصاحبك: هل تقدر أن تقوم معي، أي: قم .(١) فأنت تعلم أَنه على ذَلِك قَادر وَلَكِن يُرِيد السَّعْي مَعنا فِيهِ ، وَإِنَّمَا أَرَادوا بذلك أَن يَأْتِيهم بِآيَة يستدلون بهَا على صدقه.(٢)

قال ابن الأنباري(٣): لا يجوز لأحدٍ أن يتوهم على الحواريين أنهم شكّوا في قدرة الله ﷻ ، ولا يدل قولهم ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ على أنهم شكوا في استطاعة الله ﷻ ، وهذا كما يقول الإنسان لصاحبه: هل تستطيع أن تقومَ معي؟ وهو يعلم أنه مستطيع للقيام(٤)

" قد يكون مثل هذا السؤال على غير الجهل من السائل بالمسئول؛ لأنه يجوز أن يقال في الكلام: هل يستطيع فلان أن يقوم في حاجتنا وفي أمرنا، على علم منه أنه يستطيع، ولكنه يسأل عنه: أيفعل أم لا ؟ وذلك جائز في العربية ؛ ألا ترى أن قراءة من قرأ بالتاء – وهو ابن عَبَّاسٍ وعائشة ﵄: ﴿ هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ على علم منهم أن عيسى ﵇ يستطيع السؤال لربه؟! لكنهم قالوا ذلك لما ذكرنا، وذلك جائز في اللغة." (٥)

"وقد يجوز أن يكون مرادُ قارئه كذلك: هل يستجيب لك ربك ويُطِيعك أنْ تنزل علينا؟" (٦)

فسؤالهم ليس على أنّهم شكّوا في قدرة القديم ﷻ على ذلك، لأنّهم كانوا مؤمنين عارفين، ولكن كأنّهم قالوا: نحن نعلم قدرته على ذلك فليفعله بمسألتك إياه، ليكون علما لك ودلالة على صدقك، وكأنّهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحّة أمره من حيث لا يعترض عليهم منه إشكال ولا تنازعهم فيه شبهة، لأنّ علم الضرورة لا تعرض فيه الشبه التي تعرض في علوم الاستدلال، فأرادوا علم أمره من هذا الوجه فمن ثم قالوا: ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ [سورة المائدة: من الآية :١١٣] (٧)

---

(١) ينظر : إعراب القراءات السبع وعللها : (ص٩٤) .

(٢) ينظر : حجة القراءات : (ص٢٤١) .

(٣) هو العلامة أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن الأنباري، المقرئ النحوي ،صاحب التصانيف ، وله كتاب شرح الكافي ، وكتاب الأضداد ، وكان رأسا في نحو الكوفيين، وله كتاب المذكر والمؤنث، (ت ٣٢٨ هـ) ببغداد ؛ ينظر : معرفة القراء الكبار : (ص١٥٩ ، ١٦٠) .

(٤) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ، الكرماني: (ص١٥٧) ؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي : (٤/ ٥٠٠)

(٥) تأويلات أهل السنة : (٣/ ٦٥٠) .

(٦) جامع البيان : (١١/ ٢١٩) .

(٧) الحجة للقراء السبعة: (٣/ ٢٧٤) .

فهم سألوا ذلك لما أرادوا أن يشاهدوا الآية، ولم يكونوا شاهدوا قبل ذلك؛ فأحبوا أن يشاهدوها، وإن كانوا قد آمنوا به وصدقوه من قبل؛ ليزداد لهم بذلك طمأنينة ويقينًا، وهو كقول إبراهيم عليه السلام : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾ [سورة البقرة: من الآية : ٢٦٠] لما يحتمل أن نفسه كانت تحدث وتنازع في ذلك ، وأحب أن يعاين ذلك ويشاهده؛ ليزداد له طمأنينة ويقينًا؛ فعلى ذلك أُولَئِكَ كانت أنفسهم تحدث وتنازع في مشاهدة الآيات؛ فأحبوا أن يريهم بذلك؛ ليزداد لهم – طمأنينة ويقينًا وصلابة في التصديق. (١)

التوجيه الثاني :قيل: إن قومًا من غير الحواريين سألوا الحواريين أن يسألوا عيسى عليه السلام حتى يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء؛ لأن الحواريين كانوا خواص عيسى عليه السلام فكان كمن بدت له حاجة إلى بعض الملوك؛ فإنه إنما يرفع أولا إلى خواصه ؛ فهم الذين يتولون رفعها إلى الملك؛ فعلى ذلك رفعوا حاجتهم إلى الحواريين؛ ليسألوا هم نبي اللَّه عيسىعليه السلام ليسأل ربه . (٢)

واستحسنه القرطبي لأنّ الحواريين كانوا خيرة من آمن بعيسى، فكيف يُظن بهم الجهل باقتدار الله ﷻ على كل شيء ممكن؟ (٣)

التوجيه الثالث : يحتمل أن يكون عيسى عليه السلام يخبرهم أن لهم كرامة ومنزلة عند اللَّه ﷻ ؛ فأحبوا أن يعرفوا منزلتهم عند اللَّه وكرامتهم ﷻ.

التوجيه الرابع : سألوا ذلك؛ ليعرفوا منزلة عيسى عليه السلام عند اللَّه ﷻ وكرامته: هل يجيب ربه دعاءه إذا سأله ؟ (٤)

التوجيه الخامس : قيل: إن الحواريين قَالُوا ذَلِك قبل استحكام الْمعرفَة، وَأَرَادَ بِهِ: الْقُدْرَة، وَلَو استحكمت معرفتهم لم يَقُولُوا ذَلِك (٥) أي " إنّ هذه المقالة صدرت منهم في أوّل الأمر قبل أن يروا يروا معجزات عيسى" (٦)

(١) ينظر : تأويلات أهل السنة : (٣/ ٦٥٠).
(٢) ينظر : المصدر نفسه : (٣/ ٦٤٩ ، ٦٥٠) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن : (٦/ ٣٦٥) .
(٤) ينظر : تأويلات أهل السنة: (٣/ ٦٤٩ ، ٦٥٠) .
(٥)تفسير القرآن ، السمعاني: (٢/ ٧٩) .
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الكلبي : (١/ ٢٥١) .

ولعل ما ذكره الطبري من صلة الكلام في الآية وتسلسله ما يحتمل هذا إذ قال : " يقول تعالى ذكره: واذكر، يا عيسى، أيضًا نعمتي عليك، إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي، إذ قالوا لعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء – فـ ﴿ إذ﴾ الثانية من صلة ﴿أوحيت﴾ ".(١)

المطلب الثالث : **الترجيح بين القراءات**:سبق القول بأن القراءتين متواترتان وكلاهما من السبعة (٢) فأساس الترجيح أو التفضيل بين القراءتين عند من رجح هو المعنى الذي تقتضيه القراءة

ترجيح قراءة التاء : وأول ما يذكر في هذا الموضع ترجيح سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها للقراءة بتاء الخطاب بالنصب ﴿هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ أي هل تستطيع سؤال ربك فبها قرأت، وقالت: كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا: هل يستطيع ربك أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ(٣)

والحجة التي يستند إليها هذا الترجيح هو قَوْله تعالى قبلهَا ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية: ١١١] وَالله ﷻ سماهم حواريين وَلم يكن الله ﷻ ليسميهم بذلك وهم برسالة رَسُوله كفرة، المعنى : هَل تَسْتَطِيع سُؤال رَبك فَحذف السُّؤَال والقى إعرابه على مَا بعده فنصبه كَمَا قَالَ ﴿ واسأل الْقَرْيَة﴾ أَي أهل الْقَرْيَة(٤)

ترجيح قراءة الياء : رجح الطبري قراءة الياء قائلا : وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ بالياء ﴿ رَبُّكَ ﴾ برفع "الربّ ، بمعنى: هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه؟ وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب ؛ لأن قوله: "إذ قال الحواريون"، من صلة: "إذ أوحيت"، وأنَّ معنى الكلام: وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي، إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربَّك؟ فبيِّنٌ إذ كان ذلك كذلك، أن الله تعالى ذكره قد كرِه منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قِيلهم ذلك، والإقرارِ لله ﷻ بالقدرة على كل شيء، وتصديقِ رسوله فيما أخبرهم عن ربِّهم من الأخبار. وقد قال عيسى عليه السلام لهم، عند قيلهم ذلك له، استعظامًا منه لما قالوا:﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة: من الآية :١١٢] ففي استتابة الله ﷻ إيّاهم، ودعائه لهم إلى الإيمان به وبرسوله عليه السلام عند قيلهم ما قالوا من ذلك، واستعظام نبيِّ الله عليه السلام كلمتهم الدلالةُ الكافيةُ من غيرها على صحة القراءة في ذلك بالياء ورفع "الرب" ؛ إذ كان لا معنى

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : (١١/ ٢١٨) .
(٢) السبعة في القراءات ابن مجاهد: (ص٢٤٩) .
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٢٥٠):
(٤) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : (١١/ ٢٢٠) .

في قولهم لعيسى، لو كانوا قالوا له: "هل تستطيع أن تسأل ربَّك أن ينزل علينا مائدة من السماء"؟ أن يُستكبر هذا الاستكبار. (١)

واستدل بقوله :﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ [سورة المائدة: من الآية : ١١٣] على أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدَقهم، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوّته. فلا بيان أبين من هذا الكلام، في أن القوم كانوا قد خالط قلوبَهم مرضٌ وشك في دينهم وتصديق رسولهم، وأنهم سَألوا ما سألوا من ذلك اختبارًا. (٢)

وقد تمسك الزمخشري(٣)بظاهر قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ مستدلا به على أنهم شكّوا في قدرة الله ﷻ على إنزال المائدة ، وقال : "ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما".(٤)

قال ابن جزي(٥) : " ليس كذلك لأنهم شكوا في قدرة الله ﷻ لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا، وهل يقع منه إجابة إليه، وهذا أرجح، لأن الله أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه، مع أنّ في اللفظ بشاعة تنكر". (٦)

قال الزجاج(٧) : " وليس المعنى عندي – واللَّه تعالى أعلم أنهم جهلوا أن اللَّه ﷻ يقدر على أن ينزل مائدة، ولكن وجه السؤال : هل ترينا أنت أن ربَّك يُرينَا ماسَألنَا من أجلِكَ من آياتك التي تدل على نبوتك " (٨).

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (١١/ ٢٢٠).
(٢) ينظر : المصدر نفسه : (١١/ ٢٢٢).
(٣) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، العلامة، كبير المعتزلة، النحوي ، وكان رأسا في البلاغة ، صاحب الكشاف ، و المفضل ، (ت ٥٣٨هـ) ؛سير أعلام النبلاء: (٢٠/ ١٥١– ١٥٥)
(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (١/ ٦٩٢) .
(٥) أبو القاسم محمد بن أحمد ، ابن جزي الكلبي: فقيه من علماء الأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه : القوانين الفقهية ، و تقريب الوصول ، و، التسهيل لعلوم التنزيل، (ت ٧٤١ هـ) ؛ ينظر : الأعلام : (٥/ ٣٢٥) .
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٢٥٠).
(٧) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج ، الإمام، نحوي زمانه ، مصنف كتاب : معاني القرآن ، وله تآليف جمة ، ، (ت ٣١١هـ) ؛ ينظر : سير أعلام النبلاء: (١٤/ ٣٦٠) .
(٨) معاني القرآن وإعرابه : (٢/ ٢٢٠).

المطلب الرابع ـ الجمع وحل الإشكال:

بعد اختلاف المفسرين في الترجيح وموجباته ، علمنا أن الإشكال الحاصل بين القراءتين يكمن في اختلاف حال الحواريين الذي يدل عليه ظاهر قولهم بين أن يكون خطابا لسيدنا عيسى عليه السلام : ﴿هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ وعنده لا إشكال في سؤالهم ، أو كان السؤال عن استطاعة الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ وقدرته وعند ذلك يكون الإشكال ؛ ولذلك رجح بعض العلماء القراءة بالتاء بينما كان لمن رجح قراءة الياء توجيهات عدة لها تحول دون المعنى المستبشع الذي ردوه ، واستبعدوا صدوره من الحواريين ، ولم أجد من جمع بين القراءتين صراحة مع أن عدم الجمع بين القراءتين فيه إشكال من حيث أنهما قراءتين سبعيتين متواترتين نازلتين بالوحي ، فردّ قراءةٍ من جهة رفض معناها مع ثبوت نزولها وتواترها فيه إشكال كبير ' ولا بدّ من إثارة الذهن وتدبر المعنى لمعرفة الحل .

ومفتاح الحل والجمع بين الآراء يبدأ من معرفة معنى (الاستطاعة) في الآية التي هي مدار البحث والتوجيه ، فعلى قراءة الكسائي: ﴿ هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ الاستطاعة هنا تتعلق بعيسى عليه السلام والتقدير: " هل تستطيع سؤال ربك؟ ثم حذف السؤال، وأقام (ربك) مقامه كما قال: ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يريد: أهل القرية. ومعناه: سل ربك أن يفعل بنا ذلك فإنه عليه قادر".(١)

أما على قراءة الباقين بإسناد الفعل لله ﷻ ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ يكاد يكون الزمخشري تفرد بحمله على الشك في قدرة الله ﷻ قال ابن الأنباري: " لا يجوزُ لأحد أن يتَوَهَّم على الحواريين أنهم شَكُّوا في قدرة الله تعالى ، وبهذا يَظْهَرُ أنَّ قول الزمخشري : إنهم ليسوا مؤمنين(٢) ليس بجيدٍ وكأنه خارقٌ خارقٌ للإجماع ، قال ابن عطية: " ولا خلاف أحفظُه أنهم كانوا مؤمنين"(٣)

وقد فرّق العلماء بَين الْقُدْرَة والاستطاعة بأَن الاستِطَاعَة فِي قَوْلك طاعت جوارحه للْفِعْل أَي انقادت لَهُ وَلِهَذَا لَا يُوصف الله ﷻ بهَا وَيُقَال أطاعه وَهُوَ مُطِيع وطاع لَهُ وَهُوَ طائع لَهُ إِذا انْقَادَ لَهُ وَجَاءَت الِاسْتِطَاعَة بمعنى الْإِجَابَة وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ أَي هَل يجيبك إِلَى ما تسأله"(٤)

---

(١) الحجة في القراءات السبع (ص: ١٣٥) .
(٢) ينظر : تفسير الكشاف : (١/ ٦٩٣) .
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٢/ ٢٦٠) .
(٤) الفروق اللغوية ، العسكري: (ص١١٠) .

" فالِاسْتِطَاعَة لَا تنْسب إِلَى الله ﷻ غَالِبا؛ وَإِنَّمَا يُوصف بِالْقُدْرَةِ، وَأما الِاسْتِطَاعَة تكون للْعَبد"(١)

فإن قيل: كيف قال الحواريون: ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ ؟ هل شكوا في قدرة الله ﷻ على بعض الممكنات ؟ وذلك كفر، ووصفوه بالاستطاعة وذلك تشبيه، لأن الاستطاعة إنما تكون بالجوارح، والحواريون خُلّص أتباع عيسى عليه السلام والمؤمنون به بدليل قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة المائدة: من الآية : ١١١]

فمن المفسرين مَن جعل الشك في إسعاف عيسى عليه السلام في سؤاله إن سأل ؛ فالاستفهام كان عن الإسعاف في القدرة، فهو كقول بعض الصحابة لعبد الله بن زيد رضي الله عنه ك (هل تستطيع أن تريني كيف كان يتوضأ رسول الله ﷺ ؟) (٢) مع جزمهم بأن عبد الله كان قادرًا على تعليمهم الوضوء. فالحواريون جازمون بأن الله ﷻ قادر على إنزال المائدة، لكنهم شكوا في إسعافه على ذلك" (٣)

وأغلب المفسرين على أن هذا الاستفهام عن الفعل لا عن القدرة، كما يقول الفقير للغنى القادر، هل تقدر أن تعطينى شيئاً وهذه تسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة (٤)

فَعبر عَن الْفِعْل بالاستطاعة لِأَنَّهَا شَرطه أَي هَل ينزل علينا رَبك مائدة إِن دَعوته وَمثله ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [سورة الأنبياء:من الآية: ٨٧] أَي لن نؤاخذه ، فَعبر عَن الْمُؤَاخَذَة بشرطها وَهُوَ الْقُدْرَة عَلَيْهَا (٥)

و"هو من التعبير عن المسبب بالسبب لأنَّ الاستطاعة من أسباب الإيجاد أي: هل يفعل، تقول للقادر هل تستطيع كذا مبالغة في التقاضي فيكون إيمانهم سالماً". (٦)

فإن قيل: لو كان ما ذُكر مراداً، لما أنكر عليهم عيسى بآخر الآية ، فجوابه : إن إنكارُه عليهم إنَّما كان لِإتيانهم بلفظٍ، لا يليق بالمؤمن المخلص ذكره (٧)

---

(١) تفسير القرآن ، السمعاني: (٢/ ٧٩) .
(٢) مسند أحمد ، الإمام أحمد بن حنبلا : مسند المدنيين ، رقم الحديث : «١٦٤٣١» (٢٦/ ٣٦٠) .
(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة : (٢/ ٩٠).
(٤) ينظر : أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل ، الرازي: (ص١١٦) ؛ و فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، ابن زكريا الأنصاري: (١/ ١٥٣) .
(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام : (ص٩٠٥).
(٦) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، السيوطي : (٣/ ٣١٨).
(٧) ينظر : فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: (١/ ١٥٣) .

وعلى هذا بنى المفسرون فهمهم للاستطاعة في الآية وتنوعت وتقاربت عباراتهم في تفسيرها ، وهذه طائفة من تلك التفسيرات أو التعبيرات من المفسرين لمعنى الاستطاعة في الآية﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾:

١- – ﴿ هل يَسْتَطِيْعُ ربُّكَ ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه معنى الطلب والسؤال. (١)

٢- أَي هَل يستجيب لَك رَبك إِن سَأَلته (٢) وكلمة «يستطيع» بمعنى يطيع كما قالوا: استجاب بمعنى أجاب، وكأن معنى سؤالهم: أيستجيب الله ﷻ وينزل علينا مائدة من السماء؟ و «استطاع» تقابل: «استجاب» وسبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء، وهو الذي يطيعه كل شيء، وهو الذي يرضخ لحكمه كل شيء (٣)

٣- "أي هل يريد ربك" (٤)

٤- هل ترينا أنت أن ربَّك يُرينَا ما سَألنَا من أجلِكَ من آياتك التي تدل على نبوتك (٥)

٥- "هل يفعل أو هل يعطيك ربك إن سألته"(٦)

٦- "هل يقبل ربُّك دعاءَك وهل يسهل لك إنزال مائدة علينا من السَّماء" (٧)

٧- " هل يفعل ذلك بسؤالك" (٨)

٨- " هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله أو هل تستطيع سؤال ربك" (٩)

٩- " لم يقولوا شاكين في قدرة الله ﷻ ولكن معناه: هل يُنزل ربك أم لا؟ " (١٠)

وغير ذلك كثير وتكاد عباراتهم أن تكون متشابهة لا تخرج عنها في المعنى .

---

(١) ينظر :الحجة في القراءات السبع (ص: ١٣٥).

(٢) حجة القراءات: (ص٢٤١).

(٣) ينظر : تفسير الشعراوي ، الشعراوي: (٦/ ٣٤٦٠).

(٤) مجاز القرآن ، أبو عبيدة : (١/ ١٨٢) .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج : (٢/ ٢٢٠) .

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي: (١/ ٤٨٥) ؛ والهداية الى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب القيسي: القيسي: (٣/ ١٩٣٠).

(٧)الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي: (ص٣٤١) .

(٨) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، ابن الجوزي: (ص٩٢).

(٩) تفسير القرآن ، العز بن عبد السلام: (١/ ٤٢٣).

(١٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي : (٣/ ١١٧) ؛ وينظر: تفسير العز بن عبد السلام: (١/ ٤٢٣).

ويلاحظ بين القراءتين ، أو بين معنى الاستطاعة في القراءتين علاقة تكاملية " فمن قرأ: بالتاء هَلْ تَسْتَطِيعَ رَبَّكَ معناه: هل تستطيع أن تدعو ربك؟ ومن قرأ: بالياء معناه: هل يجيبك ربك؟ (١)

على قراءة الخطاب تقديره : هل تستطيع يا عيسى أن تسأل ربك. وأما على الغائب فمعناه: هل يفعل ربك ذلك إن سألته . (٢)

قال الأزهري (٣) : ﴿ هَلْ تَسْتَطِيْعُ رَبَّكَ ﴾ معناه عندنا: هل تدعو ربَّك؟ هل تستطيع بدعائك أن يُنَزِّلَ؟ وَمَنْ قَرَأَ بالياء فمعناه: هل يفعل ربُّك؟ (٤)

فأين التعارض بين القراءتين ؟ هل تستطيع سؤال ربك ؟ وهل يجيبك إن سألته ؟ سؤالين يمكن أن يُطرحا معاً "على القراءتين، أي هل يفعل ؟ أو هل تجيبنا إلى أن نسأل" ؟. (٥)

" وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْزَالِ وَأَنَّ عِيسَى قَادِرٌ عَلَى السُّؤَالِ وَإِنَّمَا اسْتَفْهَمُوا هَلْ هُنَا صَارِفٌ أو مانع؟" (٦) ؛ ولأن الحواريين قد ورد الثناء عليهم فوجب دفع ما لا يليق بحالهم عنهم (٧) فلم يحمل المفسرون سؤالهم عن الاستطاعة على الشك وإنما على طلب زيادة التبيان والتثبت ، ، ويقوي ذلك قولهم : ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [سورة المائدة: من الآية: ١١٣] ، وقوله تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ [سورة المائدة: من الآية :١١٥] ولأنَّ وصفهم بالحواريين ينافي أن يكونوا على الباطل، فإن الله ﷻ أمر المؤمنين بالتشبه بهم والاقتداء بسنتهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ

(١) بحر العلوم ، السمرقندي: (١/ ٤٢٩) .
(٢) ينظر : الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية ، الصرصري: (ص٢٣٣) .
(٣) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي وكان رأسا في اللغة والفقه، ثقة، ثبتا، دينا وله كتاب (تهذيب اللغة) المشهور، وكتاب (التفسير) ، و (علل القراءات) ، توفي سنة : (٣٧٠ هـ) ؛ ينظر : سير أعلام النبلاء : (١٦/ ٣١٥) .
(٤)ينظر : معاني القراءات ، الأزهري : (١/ ٣٤٣).
(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي : (١/ ٣٢٥).
(٦) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: (٣/ ٤٠٧) .
(٧) ينظر : الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية: (ص٢٣٢).

نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الصف: من الآية: ١٤] ، وأنَّ رسول الله ﷺ مدح الزبير بقوله: (إنَّ لكل نبيٍّ حواريًّا وإن حواري الزبير). (١)

وفى قول عيسى عليه السلام للحواريين: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تأديب لهم، ودعوة إلى ما هو أولى بالمؤمنين أن يكونوه مع الله ﷻ (٢) أو هو نهي عن اقتراح الآيات فيهلكوا إن نزلت وعصوه بعدها (٣) ، قال ابن عمر رضي الله عنه : (أشدُّ الناس عذاباً يومَ القيامة: من كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون، فرعون، والمنافقون) (٤)

وقيل : إن في قول الحواريين: ﴿ هل يستطيع ربّك﴾ استصغار لشأنهم، وإخفاء لذاتهم، وهم يطلبون هذا الطلب، الذي لا يصح أن يكون طالبه من الله ﷻ إلا إنسانا له عنده من المنزلة مثل ما لعيسى عليه السلام فهو ربّه الذي أفاض عليه هذه المكرمات ، وهو ربّه الذي يطلب منه هذه المكرمة.. ولهذا أضافوا عيسى إلى الربّ، ولم يضيفوا هم أنفسهم إليه، استصغارا لمكانهم في هذا المقام. (٥) أو هو هو تلطف في سؤال النزول كما تقول: هل يستطيع فلان أن يقوم معناه وأنت تعلم أنه يستطيع ولكنك تجعل ذكر الاستطاعة سؤالا للقيام؛ **لأنه ألطف** (٦)

وهي طريقة عربية في العرض والدعاء، يقولون للمستطيع لأمر: هل تستطيع كذا، على معنى تطلب العذر له إن لم يجبك إلى مطلوبك وأن السائل لا يحب أن يكلف المسئول ما يشق عليه، وذلك كناية فلم يبق منظورا فيه إلى صريح المعنى المقتضي أنه يشك في استطاعة المسئول، وإنما يقول ذلك الأدنى للأعلى منه، وفي شيء يعلم أنه مستطاع للمسؤول، فقرينة الكناية تحقق المسئول أن السائل يعلم استطاعته. (٧)

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، البخاري : كتاب الجهاد والسير، باب: هل يبعث الطليعة وحده ، رقم الحديث : ٢٦٩٢ : (٣/ ١٠٤٧) ؛ وينظر : نواهد الأبكار وشوارد الأفكار: (٣/ ٣١٨).

(٢) ينظر : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب : (٥/ ٥٣٣، ٥٣٤).

(٣) ينظر : التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب: (٤/ ٧٧):.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : (١١/ ٢٣٣) ؛ والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد: (٢/ ٩١) .

(٥) التفسير القرآني للقرآن : (٤/٧٧) .

(٦) ينظر : الوجوه والنظائر ، أبو هلال العسكري : (ص٦٨) .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور : (٧/ ١٠٥) .

ولعل الأقرب في سؤالهم لسيدنا عيسى أن " جميع الأمم لم يكن لهم جراءة على أن يدعوا ربَّهم، ولكن كانوا يقولون: ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [سورة البقرة: من الآية :٦٨] ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ وهذه الأمةُ رفع الله ﷻ الواسطةَ بينهم وبينه ، وأمرهم بالدعاء فإن لم يدعوه فهو يدعوهم ؛ ليغفر ذنوبهم"(١)

إذن نخلص من ذلك أن اختلاف اللفظ الظاهر بين القراءتين لم يغير الواقعة التاريخية ولم يحدث تعارضا أو تناقضا بين الروايتين بل تعدد القراءات أفاد ثراءً في المعنى السردي التاريخي للقصة القرآنية ؛ وبيان زيادة عمق النص القرآني مما يزيد من إعجاز القرآن وتأكيد عدم إمكانية التناقض بين القراءات السبعية المتواترة كونها نابعة من الأحرف السبعة النازلة بالوحي .

المبحث الثاني : أثر القراءات في اختلاف الفعل ، قصة امرأة لوط انموذجا

قال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ﴾ [سورة هود:الآية: ٨١]

موضع الشاهد :اخْتلفُوا في نصب التَّاء ورفعها من قَوْله ﴿إِلَّا امْرَأَتك﴾ فَقَرَأَ ابْن كثير(٢) وَأَبُو عَمْرو(٣) وابن عامر(٤)، ووافقهم ابن محيصن(٥) واليزيدي(٦) ﴿ إِلَّا امْرَأَتُك﴾ بِرَفْع التَّاء وَقَرَأَ نَافِع

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن: (٣/ ١٨).

(٢) هو عبد الله بن كثير المكي الداري، مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة ، وكان ورعا زاهدا، وأجمع أهل مكة على قراءته، قرأ على ابن مجاهد مات: سنة عشرين ومائة ؛ ينظر : طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم: (ص٦٥) و سير أعلام النبلاء : (٥/ ٣١٩) .

(٣) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان المازني المقرئ النحوي البصري الإمام، مقرئ أهل البصرة وأحد القراء السبعة وأخذ القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة، فعرض بمكة على مجاهد وسعيد بن جبير، وعطاء وعكرمة بن خالد، وابن كثير توفي سنة أربع وخمسين ومائة ؛ ينظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، الذهبي : (ص٥٨) .

(٤) هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي الدمشقي ، الإمام الكبير، مقرئ الشام، وأحد الأعلام، وهو تابعي قرأ قرأ على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، مات سنة ثمان عشرة ومائة ؛ ينظر : طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم : (ص٧٤) ، سير أعلام النبلاء : (٥/ ٢٩٢).

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي. قارئ أهل مكة، مع ابن كثير وحميد الأعرج له رواية شاذة في كتاب المبهج وغيره وهو في الحديث ثقة ، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير، ومجاهد توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة ؛ ينظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: (ص٥٦ ، ٥٧) .

(٦) هو يحيى بن المبارك اليزيدي ، المقرئ ، جود القرآن على أبي عمرو ، وله اختيار كان يقرئ به أيضا خالف فيه أبا عمرو في أماكن يسيرة، وكان ثقة علامة فصيحا مفوها، بارعا ، توفي سنة اثنتين ومائتين؛ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: (ص٩٠، ٩١).

نَافِع وَعَاصِم وَحَمْزَة والكسائي وَابْن عَامر في غير رواية الوليد وباقي العشرة بنصب التاء ﴿إِلَّا امْرَأَتك﴾ (١)

المطلب الأول :المشكلة المفترضة :

تكمن المشكلة في المعنى الذي تقتضيه أو الذي يفهم من القراءتين المختلفتين وهذا الاختلاف في المعنى يؤدي الى اختلاف فعلي في سرد الواقعة التاريخية واختلاف أحداثها .

فقد اختلف القراء في ﴿إِلَّا امْرَأَتك﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ فقراءة ﴿إلا امرأتُك﴾ **برفع التاء،** على أنها بدل من ﴿ أحد﴾ **واستُشكل ذلك** بأنه يلزم منه أنهم نُهوا عن الالتفات إلا «المرأة» فإنها لم تُنه عنه ، وهذا لا يجوز، فهي سرت معهم ولم تنه عن الالتفات . وقرأ الباقون ﴿إلا امرأتَك﴾ **بنصب التاء،** على أنه مستثنى من ﴿أهلك﴾ في قوله تعالى ﴿ فأسر بأهلك ﴾ فهو استثناء من الإيجاب ، أي: أسر بأهلك جميعا إلا امرأتك فلا تسر بها، فإنه مصيبها ما أصابهم من العذاب، وهو رميهم بالحجارة لكونها كانت كافرة . والمعنى على هذه القراءة: أنه لم يخرج بامرأته مع أهله ، ليس كما في القراءة الأولى– التي برفع التاء– أنه خرج بها فالتفتت فأصابتها الحجارة. (٢)

وهنا يكمن التعارض والإشكال ، ولهذا الاختلاف امتداد في الآثار الواردة في تأويل هذه الآية

قال ابن زنجلة (٣) : " كان أبو عمرو يتأول أن لوطا سار بها في أهله، وحجته ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أنها سمعت الوجبة– أي السقوط مع الهدة– فالتفتت فأصابها العذاب" . (٤) **أي أنها خرجت والتفتت .**

---

(١) ينظر : السبعة في القراءات : (ص٣٣٨) ؛ والمبسوط في القراءات العشر ، النيسابورى: (ص٢٤١) ؛ وجامع البيان في القراءات السبع ، الداني : (٣/ ١٢٠٧) ؛ والوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، الأَهوَازي: (ص٢١٠) ؛ والإقناع في القراءات السبع ، ابن البَاذِش: (ص٣٣١) ؛ والكنز في القراءات العشر، المقرئ: (١/ ٧٨) ؛ والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، النشار : (٢/ ١١١) .

(٢) ينظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، البناء: (ص٣٢٥) ؛ والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، محمد سالم محيسن : (٢/ ٣١٥ ، ٣١٦) ؛ والقراءات وأثرها في علوم العربية : (٢/ ١٨٩) .

(٣) هو أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة عالم بالقراءات كان قاضيا مالكيا ، صنف كتبا منها (حجة القراءات) توفي سنة ٤٠٣ هـ ؛ ينظر : الأعلام ، الزركلي: (٣/ ٣٢٥) .

(٤) حجة القراءات : (ص٣٤٨) .

ورُوِيَ عَن عبد الله بن مَسْعُود ﷺ أَنه قَالَ (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) : إِنَّهُ مُصِيبُها مَا أَصابَهُمْ، مِنَ الْعَذَابِ ، فَدلَّ ذَلِك ان الِاسْتِثْنَاء كَانَ من أَهله الَّذين أَمر بالإسراء بهم لَا من {أحد} وَالْمعْنَى فِي هَذِه الْقِرَاءَة أَنه **لم يخرج امْرَأَته مَعَ أَهله.**(١)

ولو كان الأمر مقتصرا على قراءةِ النصبِ لا إشكالَ في الآيةِ البتةَ، وأن المعنَى: فَأَسْرِ بأهلِك بقطعٍ من الليلِ إلا امرأتَك فلا تَسْرِ بها فَاتْرُكْهَا مع الهالكينَ ﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ [هود: من الآية:٨١] لأنها كافرةٌ مثلهم ، ولكن على قراءة الرفع قد سرى بها والتفتت، وهنا **إشكالٌ متعارضٌ** فلزم اختلاف القراءتين المتواترتين والواقعة واحدة ؛ إما أنه لم يخرج امرأته مع أهله أو أنه خرج بها فالتفتت فأصابتها الحجارة (٢)

فقراءة النصب تقتضي كون لوط غير مأمور بالإسراء بها ، وقراءة الرفع تقتضي كونه مأمورا بذلك (٣) **ولأجل هذا الإشكال أنكر قراءة** الرفع جماعة منهم أبو عبيد(٤) وقال: لا يصح ذلك إلا برفع يلتفت ويكون نعتا ، لأن المعنى يصير إذا أبدلت وجزمت أن المرأة أبيح لها الالتفات وليس المعنى كذلك. (٥)

قال النحاس: " وهذا العمل من أبي عبيد وغيره على مثل أبي عمرو مع جلالته ومحله من العربية لا يجب أن يكون" (٦)، "والرفع على البدل له معنى صحيح، وهو أن يكون استثناء من النهي عن الالتفات أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت وتهلك وقيل: إن الرفع على البدل من أحد، ويكون الالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف، فكأنه قال: ولا يتخلف منكم أحد إلا امرأتك، فإنها تتخلف، والملجئ إلى هذا التأويل البعيد الفرار من تناقض القراءتين"(٧)

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، السخاوي: (١/ ٣٩٠) ؛ و معاني القراءات : (٢/ ٤٦) .

(٣) ينظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، الجاوي (١/ ٥١٤) ؛ و العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي : (٣/ ٥٦٥ ، ٥٦٦) .

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله ،الإمام، الحافظ، ، ذو الفنون، من أئمة الاجتهاد ومن كبار العلماء بالقرآن والحديث والأدب والفقه واللغة له: كتاب (الأموال) ، وكتاب (الغريب) ، وكتاب (فضائل القرآن) ، توفي سنة (٢٢٤ هـ) .؛ ينظر : سير أعلام النبلاء: (١٠/ ٤٩٠) .

(٥) لم أجد القول في كتب أبي عبيد ، ولكن رواه عنه الكثير من العلماء كما سيأتي ؛ ينظر : مشكل إعراب القرآن ، مكي أبي طالب القيسي : (١/ ٣٧١) .

(٦) إعراب القرآن : (٢/ ١٧٩).

(٧) فتح القدير ، الشوكاني : (٢/ ٥٨٤) .

فإن القراءتين ثابتتان قطعاً، فيمتنع حملهما على وجهين أحدهما باطل قطعاً، والقضية واحدة، فهو إما أن يكون سرى بها أو ما سرى بها؛ فإن كان قد سرى بها فليس مستثنى إلا من قوله:

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾، وإن كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ ، فقد ثبت أن أحد التأويلين باطل قطعاً، فلا يصار إليه في أحد القراءتين الثابتتين قطعاً. (١)

المطلب الثاني : توجيه القراءات :

توجيه قراءة الرفع : يمكن أن تكون **قراءة الرفع** «إلا امرأتُك» على البدلية أي وجه الرفع على أنه بدل من أحد، وهو استثناء متصل ؛ فعلى قراءة الرفع أن امرأته سَرَت معهم لكنها التفتت فأصابها ما أصاب قومها ، أي أن المعنى : ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها ستلتفت، فعلى هذه القراءة المرأة من أهل لوط، وإنما أمطر عليها الحجارة لأنها خالفت فالتفتت.

قيل : إنّ لوطا خرج بها، ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته، فإنها لما سمعت هدّة العذاب التفتت وقالت: واقوماه فأدركها حجر فقتلها.

والاستثناء من أحد الواقع في سياق النهي، وهو في معنى النفي. وعلى هذا الوجه فالاستثناء من كلام مقدر دل عليه النهي. والتقدير: فلا يلتفتون إلا امرأتك (٢)

ووجه النصب على أنه استثناء من قوله بأهلك، إذ قبله أمر، والأمر عندهم كالواجب. ويتعين النصب على الاستثناء من أهلك في قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ ، إذ سقط في قراءته وفي مصحفه: (ولا يلتفت منكم أحد) ، وهي قراءة الجمهور وَالمعْنَى فِي هَذِه الْقِرَاءَة أَنه لم يخرج امْرَأَته يكون الأمر: لا تسر بها، وأريد أن لا يعلمها بخروجه لأنها كانت مخلصة لقومها فتخبرهم عن زوجها.(٣)

المطلب الثالث :الخلاف في الترجيح بين القراءات :

كما مر الكلام عن توجيه القراءات في هذه الآية أنها كانت محل خلاف بين العلماء ، فمن المفسرين من رجح بين القراءات ، ومنهم من رجح بين المعاني ، ومنهم من رجح إعرابا معينا

---

(١) ينظر : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب : (٨/ ١٥١– ١٥٢) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير: (١٢/ ١٣٣) .

(٣) ينظر : الحجة للقراء السبعة: (٣/ ١٦٩) و(٤/ ٣٧١) ؛ وحجة القراءات: (ص ٣٤٨) ؛ ومفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني: (ص٢١٦) ؛ و معالم التنزيل في تفسير القرآن : (٢/ ٤٦٠) .

بعد اختلاف النحاة في التوجيه الإعرابي للقراءات ، والحق أن اختلاف المعنى في القراءات لهذه الآية كان تبعا لاختلافهم في إعرابها وكلامهم فيها كثير .

فأما من ذهب إلى النصب في «امرأتك» فوجه النصب على أنه استثناء من قوله (بأهلك)، إذ قبله أمر، **والأمر عندهم كالواجب، ويتعين النصب** على الاستثناء ، لأنه نهي وليس بنفي ، ولا يجوز فى «المرأة» على هذا إلا النصب، إذا جعلتها مستثناة من «الأهل» ، وإنما حَسُنَ الاستثناء بعد النهى لأنه كلام تام، كما أن قولك: جاءنى القوم، كلام تام ثم تقول: إلا زيدا، فتستثنى وتنصب ، وجوزوا أن يكون منصوبا على الاستثناء من أحد وإن كان قبله نهي، والنهي كالنفي على أصل الاستثناء ، كقراءة ابن عامر: (ما فعلوه إلا قليلا منهم) بالنصب، وإن كان قبله نفي.(١)

فإذا جعلت قوله تعالى: امرأتك مستثنى من: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ كان فيه الوجهان: الرفع والنصب، والوجه الرفع.

وقد **رجح** السخاوي أن يكون مستثنى من قوله: {فَأَسْرِ بِأَهْلَكَ ... إلا امرأتك}.لأنه واجبٌ والمستثنى منه منصوبٌ (٢)

قال الزمخشري : " وفي إخراجها مع أهله روايتان: روى أنه أخرجها معهم، وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت هدَّة العذاب التفتت وقالت: يا قوماه ، فأدركها حجر فقتلها.

وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم، فلم يسر بها. واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين" (٣)

قد رد كثير من المفسرين قول الزمخشري ، منهم أبو حيان الأندلسي إذ قال : " **وهذا وهم فاحش** إذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين من أنه سرى بها، أو أنه لم يسر بها، وهذا تكاذب في الأخبار يستحيل أن تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب ". (٤)

---

(١) ينظر : الحجة في القراءات السبع (ص: ١٩٠) ؛ وغيث النفع في القراءات السبع ، الصفاقسي: (ص٣١٢) ؛ وإعراب القراءات السبع وعللها : (ص١٧٢) ؛ حجة القراءات: (ص ٣٤٧ ، ٣٤٨) ؛ و الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الثعلبي : (٥/ ١٨٣) ؛ والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشربيني: (٢/ ٧٢) ؛ و الموسوعة القرآنية ، الأبياري : (٤/ ٢٢٢) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط ، د. ياسين جاسم المحيميد : (٥/ ٤٣١) ؛ التفسير والمفسرون في العصر الحديث ، د. فضل عباس : (١/ ٢٨١) .

(٢) ينظر : فتح الوصيد في شرح القصيد ، السخاوي : (٢/ ٢٨١) .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (٢/ ٤١٦) .

(٤) البحر المحيط في التفسير: (٦/ ١٩٠) .

وقال الواحدي : " **في هذا الكلام خلل** لا يمكن اجتماعهما على الصحة، والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كلها. (١)

فقول المصنف : " واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين" إشكال قوي، وهو أنه جعل القراءة تابعة للرواية، فيلزم الشك في كلام لا ريب فيه من رب العالمين، ولو قال: "واختلاف الروايتين لاختلاف القراءتين" لهان الخطب، ثم وافق هذا قول القاضي: "ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين؛ لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة، والأولى الحمل على ما اختاره ابن الحاجب، ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات، بل عدم نهيها عنه استصلاحاً، ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ ﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع ".(٢)

قال ابن الجزري : " وَمن ثَمَّ **وَهِمَ الزَّمَخْشَرِيُّ** حَيْثُ حَمَلَ اخْتِلَافَ الْقِرَاءَتَيْنِ في إِلَّا امْرَأَتَكَ رفعا ونصبا على اختلاف قَولي المفسرِين " (٣)

ويبدو أن النسفي تبع الزمخشري في قوله : (واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين) (٤) وهذا القول غير سديد فان الروايتين متناقضتان لا يمكن جمعهما فان خروجها وعدم خروجها نقيضان- فاحداهما باطل بيقين والقراءتان قطعيتان ولا يصح حمل القواطع على المعاني المتناقضة(٥)

وقد رجح القرطبي قراءة ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ ﴾ بالنصب، وقال:"وهي القراءة الواضحة البينة المعنى"(٦)

وكذا الواحدي رجح قراءة من نصب وقال : "وهو الاختيار. (٧)

أما قراءة الرفع ففيها وجهان:

أشهرهما- عند المعربين-: الرفع على البدل من «أحد» وهو استثناء متصل. وقيل : إنه **أحسن من النصب**؛ لأن الكلام غير موجب. (٨)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، النيسابوري: (٤/ ٤١) .
(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: (٨/ ١٥٤) .
(٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري : (١/ ٢٩) .
(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (٢/ ٧٦) .
(٥) التفسير المظهري ، المظهري : (٥/ ١٠٦).
(٦) الجامع لأحكام القرآن : (٩/ ٨٠).
(٧) التفسير البسيط: (١١/ ٥٠٧) .
(٨) ينظر : البحر المحيط في التفسير: (٦/ ١٩٠) ؛ وشرح طيبة النشر ، النويري : (١/ ٣٣٧) ؛ والموسوعة القرآنية : (٤/ ٢٢٢) .

وهذا الوجه أنكره ورده أبو عبيد بأنه يلزم منه أنهم نهوا عن الالتفات إلا المرأة فإنها لم تنه عنه و أباح لها الالتفات ، وهذا لا يجوز، ولا يصح فيه البدل إلا برفع «يلتفتُ» ، يعنى على أن تكون «لا» نافية- فيكون الكلام خبرا عنهم بأنهم لم يلتفتوا إلا امرأته فإنها تلفتت- لكان الاستثناء بالبدلية واضحا، لكنه لم يقرأ برفع «يلتفتُ» أحد. (١)

واستحسن ابن عطية هذا الإلزام من أبي عبيد، وقال: إنه وارد على القول باستثناء المرأة من «أحد» سواء رفعت «المرأة» أو نصبتها. (٢)

قال السمين الحلبي :وهذا صحيح، فإن أبا عبيد لم يَرَدّ الرفع لخصوص كونه رفعا، بل **لفساد المعنى**، وفساد المعنى دائر مع الاستثناء من «أحد»، وأبو عبيد يخرّج النصب على الاستثناء من «بأهلك»، ولكنه يلزم من ذلك إبطال قراءة الرفع، **ولا سبيل إلى ذلك؛ لتواترها**(٣)

وقد انفصل المبرد عن هذا الإشكال الذى أورده أبو عبيد بأن مجاز هذه القراءة أن المراد النهي في اللفظ لـ «أحد» وهو في المعنى للوط- عليه الصلاة والسلام- إذ التقدير: لا تدع منهم أحدا يلتفت، كقولك لخادمك: «لا يقم أحد» النهى ل «أحد» وهو في المعنى للخادم؛ إذ المعنى: لا تدع أحدا يقوم. وقال المبرد: مجاز هذه القراءة، أن المراد بالنهى المخاطب، ولفظه لغيره، كما تقول لخادمك: لا يخرج فلان فقط، النهى لفلان، ومعناه للمخاطب، فمعناه: لا تدعه يخرج، فكذلك معنى النهى إنما هو ل «لوط» : أي: لا تدعهم يلتفتون إلا امرأتك وكذلك قولك: لا يقم أحد إلا زيد معناه: انههم عن القيام إلا زيدا. فدعه يقوم. **وفيه نظر**؛ إذ المحذور الذى قد فر منه أبو عبيد موجود هو أو قريب منه هنا. (٤)

والثاني: أن الرفع على الاستثناء المنقطع : قال ابن الأنباري: وعلى قراءة الرفع يكون الاستثناء منقطعاً، معناه: لكن امرأتك فإنها تلتفت فيصيبها ما أصابهم فإذا كان استثناءً منقطعاً كان التفاتُها معصيةً لربها، لأنه ندب إلى ترك الالتفات. قال قتادة: ذُكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من

---

(١) ينظر :الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (٦/ ٣٦٥) ؛ والبحر المحيط في التفسير: (٦/ ١٨٩- ١٩٠)، ولم أجده في كتب أبي عبيد مع توارد ذكره في كثير من المصادر .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣/ ١٩٦) .

(٣) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : (٦/ ٣٦٥) .

(٤) ينظر : البحر المحيط في التفسير : (٦/ ١٨٩- ١٩٠) ؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (٦/ ٣٦٦) ؛ واللباب في علوم الكتاب: (١٠/ ٥٣٨) ؛ والموسوعة القرآنية : (٤/ ٢٢٢) .

القرية، فلما سمعت هَدّة العذاب التفتت فقالت: وا قوماه، فأصابها حجر فأهلكها، وهو قوله: إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ للعذاب الصُّبْحُ(١)

وجعله في المغني استثناء منقطعا؛ لئلا تكون قراءة الأكثرين مرجوحة على أن المراد بالأهل المؤمنون، وإن لم يكونوا من أهل بيته. (٢)

والقائلُ بهذا جعل قراءةَ النصبِ أيضاً من الاستثناء المنقطع، فالقراءتان عنده على حَدٍّ سواء، فقيل: الذي يظهر أن الاستثناء على كلتا القراءتين منقطع، لم يقصد به إخراجها من المأمور بالإسراء بهم، ولا من المنهيين عن الالتفات، ولكن استؤنف الإخبار عنها، فالمعنى: لكن امرأتك يجري لها كذا وكذا. ويؤيد هذا المعنى أن مثل هذه الآية جاءت في سورة الحجر، وليس فيها استثناء البتة قال تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة الحجر:الآية: ٦٥] ، فلم تقع العناية في ذلك إلا بذكر من أنجاهم الله تعالى. فجاء شرح حال امرأته في سورة هود تبعا لا مقصودا بالإخراج مما تقدم، وإذا اتضح هذا المعنى علم أن القراءتين وردتا على ما تقتضيه العربية في الاستثناء المنقطع، ففيه النصب والرفع. فالنصب لغة أهل الحجاز وعليه الأكثر، والرفع لبني تميم وعليه اثنان من القراء . وردَّ أبو حيان بأن هذا لا تحقيق فيه، فإنه إذا لم يقصد إخراجها من المأمور بالإسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات، وجُعل استثناءً منقطعاً ، كان من الاستثناء المنقطع الذي لم يتوجه عليه العامل بحال، وهذا النوع من الاستثناء المنقطع يجب فيه النصب بإجماع من العرب، وليس فيه النصب والرفع باعتبار اللغتين، وإنما هذا في الاستثناء المنقطع، وهو الذي يمكن توجه العامل عليه. وفي كلا النوعين يكون ما بعد إلا من غير الجنس المستثنى منه فكونه جاز فيه اللغتان دليل على أنه مما يمكن أن يتوجه عليه العامل، وهو قد فرض أنه لم يقصد بالاستثناء إخراجها عن المأمور بالإسراء بهم، ولا من المنهيين عن الالتفات، فكان يجب فيه إذ ذاك النصب قولا واحدا (٣).

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: (٢/ ٣٩٢) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير: (١٢/ ١٣٣) .

(٣) ينظر : البحر المحيط في التفسير: (٦/ ١٩٠ ، ١٩١) ؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (٦/ ٣٦٦- ٣٦٧) ؛ واللباب في علوم الكتاب : (١٠/ ٥٣٨- ٥٣٩) .

المطلب الرابع : **الجمع وحل الإشكال** : للعلماء في الجمع بين القراءتين سبل وطرق منها:

١- أن الاستثناء على كل حال من {وَلا يَلْتَفِتْ} والاستثناء من النهي يجوز فيه الرفع على البدل، والنصب على الاستثناء. (١)

أن الاستثناء منقطع كما مر بنا : وهو الأظهر فالاستثناء من جملة الأمر أي فأسر بأهلك والاستثناء منقطع على القراءتين ووجه الرفع انه على الابتداء وخبره الجملة بعده وعندئذ تكون قراءة النصب جيدة غير مرجوحة وتتفادى بذلك وقوع غير المرجوح في القرآن، وقد قال في ابن نوح﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [سورة هود: من الآية: ٤٦] لأن المراد بالأهل المؤمنون وعلى هذا تكون امرأته من غير أهله(٢)

قال أبو شامة المقدسي : " والذي يظهر لي أن الاستثناء على القراءتين منقطع لم يقصد به إخراجها من المأمور بالإسراء بهم، ولا من المنهيين عن الالتفات، ولكن استؤنف الإخبار عنها بمعنى لكن امرأتك يجري لها كيت وكيت ". (٣)

٢- وقيل: المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الأصدقاء والأموال والأمتعة. فعلى هذا يصح الاستثناءان من غير شائبة التناقض كأنه أمر لوطا أن يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فإنها هالكة من الهالكين. ثم أمر أن يقطعوا العلائق وأخبر أن امرأته تبقى متعلقة القلب بها (٤)

٣- وقيل : " في الاستثناء من الأهل إشكال من جهة المعنى، إذ يلزم أن لا يكون سرى بها، ولما التفتت كانت قد سرت معهم قطعا، وزال هذا الإشكال أن يكون لم يسر بها، ولكنها لما تبعتهم التفتت". (٥)

أي لم يسر بها، ولكنها سرت بنفسها لما شعرت بالعذاب فتبعتهم ثم التفتت فهلكت . وعلى تقدير صحة هذا فلا يوجب ذلك دخولها في المخاطبين بقوله: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ فإذن التقدير: فأسر بأهلك بقطع من الليل فإنا منجوكم، لكن امرأتك ليست بمنجية، ونظيره قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، السخاوي: (١/ ٣٩٠).
(٢) ينظر : إعراب القرآن وبيانه: (٤/ ٤١١) .
(٣) إبراز المعاني من حرز الأماني : (ص٥٢٠) .
(٤) ينظر : المصدر نفسه .
(٥) البحر المحيط في التفسير: (٦/ ١٩٠).

مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [سورة الأحزاب: من الآية: ٤٠]، فإن كونه "أبا رجالهم" مخالف لكونه خاتم النبيين. هذا عذر واضح [١].

٤- ﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ ﴾ أي لا يتخلف أولا ينظُرْ إلى ورائه ، فالالتفاتُ بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخَلف كيلا يلزمَ التناقضُ بين القراءتين المتواترتين فإن النصبَ يقتضي كونَه عليه السلام غيرَ مأمورٍ بالإسراء بها والرفعَ كونَه مأموراً بذلك والاعتذارُ بأن مقتضى الرفعِ إنما هو مجردُ كونِها معهم وذلك لا يستدعي الأمرَ بالإسراء بها حتى يلزمَ المناقضةَ لجواز أن تسريَ هي بنفسها كما يروي أنَّه عليهِ السلامُ لما أسرى بآله تبِعَتْهم فلما سمعت هدّة العذابِ التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجرٌ فقتلها [٢]

٥- ويمكن ان يقال قراءة النصب على الاستثناء من الأهل وقراءة الرفع على الاستثناء من أحد ولا منافاة بينهما- وليس بناء القراءتين على روايتي خروج امرأة لوط وعدم خروجها بل يصح معنى القراءتين على كل من الروايتين فانه على تقدير الاستثناء من الأهل معنى الآية اسر باهلك الا بامرأتك ومقتضاه كون لوط مأمورا بحملهم جميعا على السير غير امرأته وذا لا يستلزم خروجهم ولا عدم خروجهم- فكيف يقتضى خروجها وهى لم تكن مؤتمرة بلوط- ولم يكن لوط مأمورا بإخراجها- ولا يقتضى ايضا عدم خروجها وان كان لوط لم يأمرها بالخروج- وعلى تقدير الاستثناء من الالتفات النهى من الالتفات متوجه الى لوط ومن معه غير امرأته وذا ايضا لا يستدعى خروجها ولا عدم خروجها- فان المستثنى في حكم المسكوت عنه فلعلها خرجت والتفتت كما روي ولعلها لم تخرج أصلا، وان كان لوط أمرها بالخروج فإنها لم تكن مؤتمرة له [٣]

٦- " إن وجه الجمع بين القراءتين المذكورتين أن السر في أمر لوط أن يسري بأهله هو النجاة من العذاب الواقع صبحًا بقوم لوط، وامرأة لوط مصيبها ذلك العذاب الذي أصاب قومها لا محالة، فنتيجة إسراء لوط بأهله لم تدخل فيها امرأته على كلا القولين، وما لا فائدة فيه كالعدم، فيستوي معنى أنَّه تركها ولم يسر بها أصلًا، وأنه أسرى بها وهلكت مع الهالكين. فمعنى القولين راجع إلى أنَّها هالكة وليس لها نفع في إسراء لوط بأهله؛ فلا فرق بين كونها بقيت معهم، أو خرجت وأصابها ما أصابهم، فإذا كان الإسراء مع لوط لم ينجها من العذاب، فهي ومن لم يسر معه سواء." [٤]

---

(١) ينظر : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب : (٨/ ١٥١- ١٥٤): .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود : (٤/ ٢٢٩-٢٣٠)

(٣) ينظر : التفسير المظهري : (٥/ ١٠٦- ١٠٧) .

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي : (٣/ ٤٤) .

وذلك بأن اللهَ أَعْلَمَهُ أنها هالكةٌ لا مَحَالَةَ، وأنه لم يَسْرِ بها إسراءً إلى حيثُ النجاةُ، سواء بَقِيَتْ معهم أو ذَهَبَتْ معهم قليلاً فالتفتت فأصابَها حجرٌ فأهلكها كما أَهْلَكَ قومَها، فهي هالكةٌ على كِلَا القولين سواء أَسْرَى بها فالتفتت فهلكت، أو بقيت معهم، فهي هالكةٌ على كُلِّ حالٍ. وفائدةُ إسرائِه بِمَنْ معه هي النجاةُ، وهي محرومةٌ من هذه الفائدةِ. وإذًا يكونُ معنَى القراءتين كالشيءِ الواحدِ. هكذا قال بعضُ العلماءِ. وهذا معنَى قولِه: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [سورة النمل :الآية : ٥٧][(١)]

ويمكن الجمع أو التقريب بين هذه الاوجه في الجمع بقولنا : إن الاستثناء على كل حال من ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ ﴾ ولم يقصد به إخراجها من المأمور بالإسراء بهم، ولا من المنهيين عن الالتفات ، فالاستثناء من الالتفات والنهي عن الالتفات متوجه الى لوط ومن معه غير امرأته ، فهي لا تطيعه ولا تأتمر بأمره ، والمتتبع لسيرة هذه المرأة يدرك أنها كانت من لا تتبع لوطا عليه السلام فقد روى الطبري عن حذيفة قال: " لما بَصُرت بهم – يعني بالرسل – عجوزُ السَّوء امرأتُه، انطلقت فأنذرتهم، فقالت: قد تضيَّف لوطًا قوم ، ما رأيت قومًا أحسن وجوهًا ! قال: ولا أعلمه إلا قالت: ولا أشد بياضًا وأطيبَ ريحًا! قال: فأتوه يُهْرعون إليه، كما قال الله، فأصْفق لوط البابَ. قال: فجعلوا يعالجونه. قال: فاستأذن جبريل ربَّه في عقوبتهم، فأذن له، فصفقهم بجناحه، فتركهم عميانًا يتردَّدون في أخبث ليلة أتت عليهم قطُّ "[(٢)] ورواه عن قتادة والسدي نحوه[(٣)] ، فكيف ستأتمر بأمره وتطيعه إن أمرها بالخروج معه وترك قومها ؟

وقد ورد في الأثر عن وهب بن منبه أن الملائكة قالوا عنها لسيدنا إبراهيم عليه السلام لما أتوه وهم في طريقهم لقوم لوط عليه السلام : " إن امرأته هَوَاها معهم "[(٤)] أي مع قومه ، فهي هالكة وليس لها نفع في إسراء لوط بأهله ؛ فلا فرق بين كونها بقيت معهم، أو خرجت وأصابها ، ولذلك لم يسر بها، ولكنها سرت بنفسها لما شعرت بالعذاب فتبعتهم ثم التفتت فهلكت ، فلا يوجب ذلك دخولها في المخاطبين بقوله: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ سواء بالتخلف أو بالنظر إلى الخَلف أو بتعلق القلب بالأموال والأمتعة والأصدقاء . وبهذا يزداد المتمعن في هذه المعاني إيمانا بإعجاز النظم والتعبير القرآني وروعته ، وثراء معانيه ، وبعده عن التناقض والاختلاف .

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: (٣/ ٥٦٦) .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : (١٥/ ٤٢٥).
(٣) المصدر نفسه : (١٥/ ٤٢٥ – ٤٢٧).
(٤) المصدر نفسه : (١٥/ ٤٢٨) .

المبحث الثالث : أثر القراءات في اختلاف العدد ، الزبور انموذجا :

قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [سورة النساء: الآية : ١٦٣]

موضع الشاهد : ورد في قَوْله:﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ قراءتان : فَقَرَأَ حَمْزَةُ وَخَلَفٌ بِضَمِّ الزَّايِ (زُبُورًا) [(١)] ، وأبو رزين، وأبو رجاء، والأعمش أيضا [(٢)]، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ وهم الأكثر بِفَتْحِهَا (زَبورا) حَيْثُ وَقع هَذَا الْحَرْف وَمثله قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [سورة الْأَنْبِيَاء: الآية : ١٠٥][(٣)]، وهما لغتان في الكتاب المنزل[(٤)]

قال ابن الجزري: ..... وعنهما ... زاي زبورا كيف جاء فاضمما

المعنى: قرأ المشار لهما بالضمير في «عنهما» وهما «حمزة، وخلف العاشر» «زبورا» المنكر، «الزبور» المعرف حيثما وقعا في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [الإسراء: من الآية :٥٥] . وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ ﴾[سورة الأنبياء: من الآية :١٠٥] قرآ «زُبورا، الزُّبور» بضم الزاي[(٥)]

قال اليشكري. [(٦)] :﴿ زَبُورًا﴾ بضم الزاي حيث وقع الزَّيَّات، والْأَعْمَش، وخلف، والرومي عن عباس، عباس، والباقون بفتح الراء. [(٧)]

---

(١) ينظر : السبعة في القراءات: (ص٢٤٠)؛ والتيسير في القراءات السبع : (ص٩٨)؛ والنشر في القراءات العشر: (٢/ ٢٥٣) ؛ والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة : (٢/ ٣٤٧).

(٢) ينظر : زاد المسير في علم التفسير: (١/ ٤٩٩).

(٣) ينظر : السبعة في القراءات: (ص٢٤٠)؛ والتيسير في القراءات السبع : (ص٩٨)؛ والنشر في القراءات العشر: (٢/ ٢٥٣) ؛ والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة : (٢/ ٣٤٧).

(٤) شرح طيبة النشر ، ابن الجزري: (ص٢١٨).

(٥) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: (٢/ ١٦٥) .

(٦) يوسف بن علي بن جبارة ، أبو القاسم الهذلي اليشكري الأستاذ الكبير الرحال والعلم الشهير الجوال ، عالم بالقراءات مصنف الكامل في القراءات (ت ٤٦٥ هـ) ؛ ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء: (٢/ ٣٩٧) .

(٧) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها ، اليشكري : (ص٥٣٢):

المطلب الأول : عرض المشكلة :

يظهر مما سبق أنه بناءً على القراءة الأولى (زَبورا) أن ما نزل على سيدنا داود عليه السلام هو زبور واحد ، وعلى القراءة الثانية بالجمع (زُبورا) هو عدة كتب أو زبر ، فكيف يتم الجمع تاريخيا بين هاتين القراءتين ، هل الواقع التاريخي يؤيد نزول كتاب واحد أم عدة كتب ؟ وأي حقيقة كانت مقصودة بالسرد الروائي لقصة سيدنا داود عليه السلام في القرآن الكريم ؟

قال ابن زنجلة والأزهري : إن من قرأ (زُبُورًا) بالضم أي بِرَفْع الزَّاي فمعناه: آتيناه كُتُبًا وصحفا جمع زبر وزبور كبَيت وبيوت(١)

وقال النحاس : قال الكسائي من قرأ زَبورا فهو عنده واحد مثل التوراة والانجيل ... ومن قرأ زُبورا فهو عنده جمع زبر (٢)

أي إن القراءة بفتح الزاي على أنه كتاب واحد مفرد كالتوراة والإنجيل، وهو فعول بمعنى مفعول، من زَبَرْتُ الكتاب، إذا كَتَبْتَهُ. والقراءة بضمها على أنه جمع زبور بحذف الزيادة، كأن الواو حذفت فبقي زَبْرٌ، ثم جُمع على فُعول كبحر وبحور(٣)

قال الطبري : " وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفيين: (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا) ، بضم"الزاي" جمع"زَبْرٍ".

كأنهم وجهوا تأويله: وآتينا داود كتبًا وصحفًا مَزْبورة ". (٤)

قال الزجاج : " ومن قرأ زُبوراً بضم الزاي فمعناه وآتيناه كُتُباً، جمع زَبْر" (٥)

فالمشكلة تكمن في عدم إمكانية الجمع بين الواقعتين تاريخيا ، نزول زبور واحد على قراءة الأكثرين أو نزول أكثر من زبور على قراءة حمزة .

---

(١) ينظر : حجة القراءات: (ص٢١٩) ؛ و معاني القراءات ، الأزهري: (١/ ٣٢٣).
(٢) معاني القرآن : (٢/ ٢٣٩).
(٣) ينظر : الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ، الهمذاني : (٢/ ٣٨٠).
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : (٩/ ٤٠١) .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج : (٢/ ١٣٣) .

المطلب الثاني :توجيه القراءات:

لم يكتف بعض العلماء بذكر القراءتين فقط وإنما قاموا بتوجيههما وبيان حجتهما ؛ وببيان التوجيه يظهر الفرق في المعنى بين القرائتين ، من غير التزام بالترجيح أو التفضيل بينها على اعتبار صحتها كون القراءتين من العشرة ، ويظهر من اختلاف المعنى الذي بينوه علاقته بالسرد التاريخي لنزول الزبور على سيدنا داود عليه السلام كما سنرى

١- القراءة الأولى : بفتح الزاي ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [سورة النساء:من الآية: ١٦٣] فالحجة لمن فتح: أنه أراد: واحدا مفردا. (١)

فمَنْ قَرَأَ ﴿ زَبُورًا ﴾ بفتح الزاي فمعناه: كتابًا مَزبورًا، والآثار كذا جاءت، زبور داود، وتوراة موسى وإنجيل عِيسَى (٢)

وَالزَّبُورُ، بِالْفَتْحِ: الْكِتَابُ، وَالزُّبُورُ: جَمْعٌ، وَسُمِّيَ الزَّبُورُ زَبُورًا لِأَنَّ مَعْنَى الزَّبْرِ الْكِتَابَةِ . (٣)

٢- والحجّة لمن ضم: أنه أراد: الجمع، فالأول كقولك: عمود. والثاني كقولك: عمد. والزبر: الكتب، تقول العرب: زبرت الكتاب بالزاي: كتبته. وذبرته بالذال قرأته. فأما زبر الحديد فواحدتها: (زبرة) كقولك: سدفة وسدف. (٤) فـ (زُبور) بضم الزاي جمع زَبُورٍ، كقولهم في جمع ظريف: ظروف، أو يكون جمع زِبْرٍ ، وزِبْرٌ مصدر سمّي به كالكتاب، ثم جمع على زُبُرٍ، كما جمع كتاب على كتب، وقيل: بل الزَّبُورُ كلّ كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهيّة، قال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] ، وقال: ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [سورة آل عمران : من الآية: ١٨٤]، ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [سورة القمر:من الآية : ٤٣] ، وقال بعضهم: الزَّبُورُ: اسم للكتاب المقصور على الحكم العقليّة دون الأحكام الشّرعيّة، والكتاب: لما يتضمّن الأحكام والحكم، ويدلّ على ذلك أنّ زبور داود عليه السلام لا يتضمّن شيئا من الأحكام. (٥)

---

(١) ينظر : الحجة في القراءات السبع (ص: ١٢٨)

(٢) معاني القراءات : (١/ ٣٢٣) ؛ وحجة القراءات : (ص٢١٩) .

(٣) إعراب القراءات السبع : (ص٨٨) .

(٤) الحجة في القراءات السبع (ص: ١٢٨) .

(٥) ينظر : المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني : (ص٣٧٧) ؛ و بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروزآبادي : (٣/ ١٢٢) .

فضم الزاي يحتمل أمرين: إما أن يكون جمع الزبور، فحذف الزيادة ثم جمع، ونظير ذلك قولهم في جمع ظريف ظروف ، وإمّا أن يكون سمّى ما أتى به داود، عليه السلام، زبرا كما سمّى القرآن كتابا، فسمّي الكتابان باسم المصدر، لأن زبرت بمنزلة كتبت، ثم جمع كأنه جعل أنحاء، ثم جعل كلّ نحو زبرا، ثم جمعه زبورا كما جمع الكتاب على كتب حيث صارت التسمية مثل عماد وعمد(١)

المطلب الثالث: الترجيح بين القراءات:

يتبين من توجيه العلماء للقراءتين التعارض والاختلاف بينهما ولذلك لم يقتصر بعضهم على النقل والتوجيه وبيان الأثر ، وإنما ذهبوا إلى التفضيل أو الترجيح بينهما تلميحا أو تصريحا .

قال اليشكري : فتح الراء، هو الاختيار، لأنه أشهر وهو اسم كتاب لا جمع . (٢)

وقال الزجاج : " وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ القراءَة فيه بفتح الزاي وضمها، وأكثر القراء على فتح الزاي ، وقد قرأت جماعة زُبُوراً بضم الزاي، منهم الأعمش وحمزة، فمن قرأ زَبُوراً، بفتح الزاي فمعناه كتاباً، وهذا الوجه عند أهل اللغة، لأن الآثار كذا جاءَت زَبُور دَاوُدَ، كما جاءَ تَوْراةُ موسَى وإِنْجِيل عِيسى" (٣)

قال أبو جعفر: " وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا، قراءة من قرأ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ ، بفتح"الزاي"، على أنه اسم الكتاب الذي أوتيه داود، كما سمى الكتاب الذي أوتيه موسى"التوراة"، والذي أوتيه عيسى"الإنجيل"، والذي أوتيه محمد"الفرقان"، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود. وإنما تقول العرب:"زَبُور داود"، بذلك تعرف كتابَه سائرُ الأمم" (٤)

قال الرازي : الزبور الكتاب، والزبر بضم الزاي الكتب، أما قراءة الباقين فهي أولى لأنها أشهر، والقراءة بها أكثر . (٥)

ونلاحظ من أقوال العلماء السابقة أنهم اعتمدوا شهرة القول ، وكثرة القراءة به ، وفشوّه عند أهل اللغة سببا للترجيح ، وهذا غير مُسَلّمٍ به ؛ كون القراءة المرجوحة هي رواية متواترة نازلة بالوحي ، توافر فيها أركان القراءة المعتمدة من تواتر وموافقة للرسم العثماني وموافقة العربية ، فهي قرآن

---

(١) ينظر : الحجة للقراء السبعة : (٥/ ١٠٨- ١٠٩) .
(٢) ينظر : الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: (ص٥٣٢) .
(٣) معاني القرآن وإعرابه : (٢/ ١٣٢):
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٩/ ٤٠٢) .
(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: (١١/ ٢٦٧) .

كالقراءة الأولى المشهورة ، لا يمكن تناقضهما بحال ؟ فالقرآن لا يناقض نفسه ، فلا تترك وترجح الأخرى عليها لأجل المعنى أو الشهرة أو اللغة ، فالرواية أصل والمعنى تابع لها وليس العكس ؛ فلا يصح الترجيح .

المطلب الرابع : الجمع بين القراءات:

بدايةً نقول عن الجمع بين القراءتين : إن قوله (زَبورا) بفتح الزاي كما يجوز أن يكون المقصود به الإفراد يجوز أن يراد به الجمع كَعَدُوٍّ، وهو اسم للكتاب الذي أنزل على داود عليه السلام [١]

وقال ابن قتيبة: الزَّبُور فَعُول بمعنى مفعول، كما تقول: حلوب وركوب بمعنى: محلوب ومركوب، وهو من قولك: زبرت الكتاب أزبره زبراً: **إذا كتبته**، قال: وفيه لغة أخرى: الزُبور بضم الزاي، **كأنه جمع** . [٢]

قال البغوي : والزُبور بضم الزاي حيث كان، بمعنى: جمع زبور، أي آتينا داود كتبا وصحفا مزبورة، أي: مكتوبة[٣] فالمعنى واحد في الحالين ، قال السمرقندي : قرأ حمزة: زُبُوراً بضم الزاي. وقرأ الباقون بالنصب في جميع القرآن، ومعناهما واحد، وهو عبارة عن الكتاب ، وقال في موضع آخر : وهما لغتان ومعناهما واحد . [٤]

قال السمين الحلبي : بضم الزاي وفتحها، قيل: هما بمعنًى واحدٍ، وقيل: المضموم جمع زبر، والزبر مصدر سمي به المزبور، كالكتاب مصدر في الأصل سمى به المكتوب. [٥]

وعلى فرض كون الراجح في (الزَّبور) بالفتح أنه مفرد ، و (الزُّبور) بالضم أنه الجمع فكذلك يمكن الجمع بين القراءتين بلا تعارض

أما سبب وروده بالجمع في قراءة حمزة والآخرين فلعل الزبور نزل مفرقا كالقرآن ولم ينزل جملة واحدة ؛ فهو عبارة عن صحف أو زبر متفرقة تجمع على (زُبور) بالضم .

---

(١) ينظر : فتح الوصيد في شرح القصيد: (٢/ ١٦٩).
(٢) ينظر : غريب الحديث ، ابن قتيبة : (١/ ٢٤٥) .
(٣) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣١١) .
(٤) بحر العلوم: (١/ ٣٥٧):
(٥) ينظر : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، السمين الحلبي : (٢/ ١٣٣).

قال أبو علي الفارسي[١]: " زبرت بمنزلة كتبت، ثم جمع كأنه جعل أنحاء، ثم جعل كلّ نحو زبرا، ثم جمعه زبورا كما جمع الكتاب على كتب".[٢]

ويؤيد هذا القول تشبيه الله سبحانه وتعالى القرآن بالزبور من هذه الناحية فقال تعالى :﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [سورة النساء: الآية : ١٦٣] بمعنى آتيناك كتاباً كما آتينا داوود زبورا فخصّ الزبور بالذكر لأنه نزل منجّماً كما أُنزل القرآن على الرسول – صلى الله عليه وسلم –. ويخاطب تعالى الكافرين بقوله أنتم تؤمنون بداوود وقد نزل عليه الزبور منجماً وقد أتيناك كتاباً كما آتينا داوود [٣] فقد نزل قطعا كثيرة ، فالمشركون نسوا ذلك أو جهلوا فقالوا: هلا نزل القرآن على محمد جملة واحدة فنعلم أنه رسول الله ؟[٤] فردّ القرآن بتذكيرهم بالزبور .

فالزبور بالفتح باعتباره كتابا واحدا ، وبالضم باعتباره صحفا وزبرا مجموعة ؛ فالمعنى في القراءتين واحد ، ولا يوجد اختلاف في السرد التاريخي بين القراءتين ولا تناقض بين آياته .

الخاتمة

١- الترجيح بين القراءات القرآنية ينبغي أن يكون على أساس صحة الرواية وقوتها فترجح المتواترة على الصحيحة ، أو الصحيحة على الضعيفة روايةً .

٢- التفاضل بين القراءات السبع أو الترجيح بين الروايات المتواترة لا يمكن أن يكون على أساس المعنى فترد رواية لقراءة متواترة نازلة بالوحي لأجل مخالفتها معنى رواية أخرى متواترة أيضا ونازلة بالوحي أيضا .

٣- الرواية أصل والمعنى واللغة تبعٌ لها وليس العكس .

٤- للجمع والتأويل طرق عديدة ينبغي البحث عنها ، وإعمال الفكر فيها ، فهو سبيلا التدبر .

٥- اختلاف المعنى والمدلول لاختلاف القراءة لا يعني التناقض أو التعارض أو الاختلاف ، بل قد تثري القراءة الثانية المعنى المستفاد من الآية .

---

(١) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، إمام النحو، له كتاب (الحجة) في علل القراءات، وكتابا (الإيضاح) و (التكملة) ، (ت ٣٧٧هـ) ؛ ينظر : سير أعلام النبلاء: (١٦/ ٣٧٩) .

(٢) الحجة للقراء السبعة : (٥/ ١٠٩) .

(٣) ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، السامرائي : (ص٨١٤)

(٤) التحرير والتنوير: (١٩/ ١٨) .

٦- قد يختلف التوجيه الإعرابي للقراءة ويختلف المعنى المستفاد تبعا لاختلاف الإعراب ، وهنا قد يكون الترجيح بين الاختلافات الإعرابية سببا للجمع بين القراءات .

٧- لا يمكن اعتماد شهرة القول ، وكثرة القراءة به ، وفشوّه عند أهل اللغة سببا لترجيح ، قراءة متواترة على أخرى متواترة أيضا .

٨- القراءة المتواترة إنما أصلها رواية نازلة بالوحي ، توافر فيها أركان القراءة المعتمدة من تواتر وموافقة للرسم العثماني وموافقة العربية ، فهي قرآن كالقراءة الأولى المشهورة ، لا يمكن تناقضهما بحال ، فالقرآن لا يناقض نفسه .

٩- اختلاف اللفظ الظاهر بين القراءات لا يغير الواقعة التاريخية ولا يحدث تعارضا أو تناقضا بين الروايات ، بل تعدد القراءات يفيد ثراءً في المعنى السردي التاريخي للقصة القرآنية ؛ وبيان زيادة عمق النص القرآني مما يزيد من إعجاز القرآن .

١٠- القراءتان الثابتتان قطعاً، يمتنع حملهما على وجهين أحدهما باطل قطعاً، والقضية واحدة .

١١- جعل اختلاف القراءات القرآنية المتواترة لاختلاف الروايات التاريخية المختلفة إشكال كبير، فالعقل يحيل اجماع المتواتر على الكذب ؛ فالقواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة .

١٢- تنوع وتعدد المعاني لتعدد القراءات ، دليل على ثراء المعنى القرآني ، ووجه من وجوه الإعجاز.

١٣- قد يختلف المدلول لاختلاف القراءة فيثير إشكالا بلا تعارض بينهما ، بل قد تثري القراءة الثانية المعنى المستفاد من الآية ، وقد يختلف التوجيه الإعرابي للقراءة ويختلف المعنى المستفاد تبعا لاختلاف الإعراب ، وهنا قد يكون الترجيح بين الاختلافات الإعرابية سببا للجمع بين القراءات .

المصادر والمراجع

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ) ، تحقيق : أنس مهرة ، ط : ٣ ، دار الكتب العلمية – لبنان ، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ) ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، (د . ت) .

٣- الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية ، أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري (ت ٧١٦ هـ) ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ,

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، ط : ٥ ، دار عطاءات العلم –الرياض، دار ابن حزم – بيروت ، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م .

٥- إعراب القراءات السبع وعللها ، أبو محمد بن خالويه النحوي (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : أبو محمد الأسيوطي ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٣٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

٦- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ) ، ط : ٤ ، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، دار اليمامة – دمشق – بيروت ، دار ابن كثير – دمشق – بيروت ، ١٤١٥ هـ .

٧- الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط أبو حيان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) ، د. ياسين جاسم المحيميد .(د.ط ، د.ت) .

٨- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي ا (ت ١٣٩٦ هـ) ، ط :١٥ ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢ م .

٩- الإقناع في القراءات السبع ، ، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد الغرناطي ، المعروف بابن البَاذِش (ت ٥٤٠هـ) ، ط : دار الصحابة للتراث (د . ت) .

١٠- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل ، المؤلف: أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ) ، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، ط : ١ ، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض ، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م .

١١- بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) ، (د. ط) .

١٢- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الفاسي (ت ١٢٢٤هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، ط : د . حسن عباس زكي – القاهرة ، ١٤١٩ هـ .

١٣- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، أبو حفص سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم النشار (ت ٩٣٧ هـ) ، شرح وتحقيق: أ. د. أحمد عيسى المعصراوي ، ط : ٢ ، دار النوادر – الكويت ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .

١٤- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ، ١ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، صوَّرته دار المعرفة، بيروت– لبنان ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

١٥- صائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

١٦- تأويلات أهل السنة ، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) ، تحقيق: د. مجدي باسلوم ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

١٧- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ) ،تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط : عيسى البابي الحلبي وشركاه (د . ت) .

١٨- التحرير الأدبي ، د. حسين علي محمد حسين (ت ١٤٣١هـ) ، ط : ١ ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

١٩- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، ط : الدار التونسية – تونس، ١٩٨٤ هـ .

٢٠- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق: طارق فتحي السيد ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

٢١- التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد ، ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي ، ط : ١ ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ، ١٤١٦ هـ .

٢٢- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق : جماعة من العلماء ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

٢٣- التّفسير البسيط ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق :جامعة الإمام محمد بن سعود، ط: ١ ، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الأولى، ١٤٣٠ هـ .

٢٤- تفسير الشعراوي – الخواطر ، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) ، ط ، مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧ م .

٢٥- تفسير القرآن ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ) ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، ط : ١ ، دار الوطن، الرياض – السعودية ، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م .

٢٦- تفسير القرآن العظيم ، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق : د موسى علي موسى مسعود ، د أشرف محمد بن عبد الله القصاص ، ط : ١ ، دار النشر للجامعات ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

٢٧- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٩ هـ .

٢٨- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ) ، ط : دار الفكر العربي – القاهرة .

٢٩- تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) ، ط : ١ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

٣٠- التفسير المظهري ، محمد ثناء الله المظهري ، تحقيق : غلام نبي التونسي ، ط : مكتبة الرشدية – الباكستان ، ١٤١٢ هـ .

٣١- التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث ، د. فضل حسن عبَّاس ، ط : ١ ، دار النفائس – الأردن ، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م .

٣٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ط : دار التربية والتراث – مكة المكرمة (د. ت) .

٣٣- جامع البيان في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، تط : ١ ، جامعة الشارقة – الإمارات ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

٣٤- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط : ٢ ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٣٥- حجة القراءات ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ، ابن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣هـ) ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، ط : دار الرسالة .

٣٦- الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم [ت ١٤٢٩ هـ] ط : ٤ ، دار الشروق – بيروت ، ١٤٠١ هـ .

٣٧- الحجة للقراء السبعة ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ) تحقيق : بدر الدين قهوجي ، وبشير جويجابي ، مراجعة وتدقيق : عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق ، ط : ٢ ، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

٣٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط ، ط : دار القلم – دمشق .

٣٩- درج الدُّرر في تفسيرِ الآيِ والسُّوَر ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، تحقيق: وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، إياد عبد اللطيف القيسي ، ط : ١ ، مجلة الحكمة- بريطانيا ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٤٠- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، ط : ١ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٤٢٢ هـ .

٤١- السبعة في القراءات ، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق: شوقي ضيف ، ط : ٢ ، دار المعارف – مصر ، ١٤٠٠هـ .

٤٢- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ) ، ط : مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .

٤٣- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، ط : ٣ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٤٤- شرح طيبة النشر في القراءات ، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تحقيق : أنس مهرة ، ط : ٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت ،١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٤٥- شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، أبو القاسم، محب الدين محمد بن محمد بن محمد، النُّوَيْري (ت ٨٥٧هـ) ، تحقيق : د. مجدي محمد سرور سعد باسلوم ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٤٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - صحيح البخاري – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، ط : ٥ ، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

٤٧- طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم ، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت ٧٨٢هـ) ، تحقيق : أحمد محمد عزوز ، ط : ١ ، المكتبة العصرية – صيدا بيروت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

٤٨- العذب النمِير من مجالس الشّنقيطي فِي التَّفْسِيرِ ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) ، تحقيق : خالد بن عثمان السبت ، ط ، ٥ ، دار عطاءات العلم – الرياض، دار ابن حزم –بيروت ، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م .

٤٩- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ،تحقيق: محمد باسل عيون السود ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٥٠- غاية النهاية في طبقات القراء ، أبو الخير شمس الدين ، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، ط : مكتبة ابن تيمية ، ١٣٥١هـ .

٥١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ) ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، ط : ١ ، دار الكتب العلميه – بيروت ، ١٤١٦ هـ .

٥٢- **غريب الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق: د. عبد الله الجبوري** ، ط : ١ ، **مطبعة العاني – بغداد ، ١٣٩٧ .**

٥٣- غيث النفع في القراءات السبع ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن سالم، النوري الصفاقسي (ت ١١١٨هـ) ، تحقيق : أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٥٤- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، أبو يحيى زين الدين زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط : ١ ، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٥٥- فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، ط : ١ ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، ١٤١٤ هـ .

٥٦- فتح الوصيد في شرح القصيد ، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق : أحمد عدنان الزعبي ، ط: ١ ، مكتبة دار البيان – الكويت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

٥٧- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) ، تحقيق : إياد محمد الغوج ، د. جميل بني عطا ، د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء ، ط : ١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤ هـ -٢٠١٣ م.

٥٨- الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، ط : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر .

٥٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) ، ط : مكتبة الخانجي – القاهرة (د . ت) .

٦٠- القراءات وأثرها في علوم العربية ، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت ١٤٢٢هـ) ، ط : ١ ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٦١- الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ، أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة اليشكري (ت ٤٦٥هـ) ، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب ، ط : ١ ، مؤسسة سما ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

٦٢- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ، المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣ هـ) ،تحقيق : محمد نظام الدين الفتيح ، ط : ١ ، دار الزمان - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

٦٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، ط : ٣ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

٦٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، ط : ١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م .

٦٥- الكنز في القراءات العشر ، أبو محمد تاج الدين ويقال نجم الدين عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه المقرئ (ت ٧٤١هـ) ، تحقيق: د. خالد المشهداني ، ط : ١ ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٦٦- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .

٦٧- لمسات بيانية ، د. فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي ، حلقات تلفزيونية مفرغة ، ضمن برنامج :المكتبة الشاملة .

٦٨- المبسوط في القراءات العشر ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابورى، (ت ٣٨١هـ) ،تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي ، ط : مجمع اللغة العربية - دمشق ، ١٩٨١ م .

٦٩- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت ٢٠٩هـ) ، تحقيق : محمد فواد سزگين ، ط : مكتبة الخانجى - القاهرة ، ١٣٨١ هـ .

٧٠- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٧١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط : ١، دار الكتب العلمية - بيروت ،١٤٢٢ هـ .

٧٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ) ، تحقيق: يوسف علي بديوي ، مراجعة : محيي الدين ديب مستو ، ط : ١ ، دار الكلم الطيب- بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٧٣- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمد بن عمر نووي الجاوي (ت ١٣١٦هـ) ، تحقيق: محمد أمين الصناوي ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٧ هـ .

٧٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الإمام أحمد بن حنبل (ت :٢٤١ هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، ط : ١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٧٥- مشكل إعراب القرآن ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ط : ٢ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

٧٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد محيي السنة ، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (المتوفى : ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط : ١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

٧٧- معاني القراءات ، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، ط : ١ ، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية ، الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

٧٨- معاني القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط : ١ ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ .

٧٩- معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، ط : ١ ، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ، (د.ت) .

٨٠- معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، ط : ١ ، عالم الكتب - بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٨١- معترك الأقران في إعجاز القرآن، : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط: ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٨٢- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م .

٨٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد ، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق: د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، ط : ٦ ، دار الفكر - دمشق ، ١٩٨٥ .

٨٤- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ، أبو العلاء محمد بن أبي المحاسن محمود الكرماني، (ت بعد ٥٦٣هـ) ، تحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج ، ط : ١ ، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٨٥- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، ط : ١ ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، ١٤١٢ هـ .

٨٦- منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، أبو الخير شمس الدين ، محمد بن محمد بن يوسف ، ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، ط : ١، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

٨٧- الموسوعة القرآنية ، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ) ، ط :مؤسسة سجل العرب ، ١٤٠٥ هـ .

٨٨- النشر في القراءات العشر ، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت : ٨٣٣ هـ) ، تحقيق : علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ) ، ط : المطبعة التجارية الكبرى ،تصوير دار الكتاب العلمية (د . ت) .

٨٩- نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط : جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م .

٩٠- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت ١٤٢٢هـ) ، ط : ١ ، دار الجيل – بيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

٩١- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، ط : ١ ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٩٢- الوجوه والنظائر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد عثمان ، ط : ١ ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

٩٣- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، ط : ١ ، دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

٩٤- الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأَهْوَازي (ت ٤٤٦هـ) ، تحقيق: دريد حسن أحمد ، ط ، ١ ، دار الغرب الإسلامى – بيروت ، ٢٠٠٢ م .